في ذكرى حصار بيروت:
من ذاكرة الكتّاب والمثقفين العرب

أحمد أبو مطر*

إهداء:
إلى الزملاء والزميلات .. الكتّاب والمثقفين الفلسطينيين في حصارهم الجديد .. يشكّلون جبهة ثقافية جديدة في مواجهة الحصار الإسرائيلي .. ومنه إلى النصر .. والدولة الفلسطينية المستقلة .

هل هي مصادفة أن نستعيد ذكرى حصار بيروت العشرين، ونحن نعيش حصاراً مشابهاً، حصاراً له الطعم نفسه، يقوم به العدو نفسه، لكنّه أشد وحشية، وأكثر همجية . هذا الحصار ليس لمدينة واحدة، كما كان حصار بيروت العام 1982 . لكنّه حصار لمناطق واسعة، يُؤمَّل أن تكون الأساس لمشروع الوطن .. الدولة الفلسطينية القادمة .. حصار يشمل كافة مناطق قطاع غزة .. والضفة الغربية ...
وربما يكون من الصُدف الغريبة أن يبدأ الحصار الجديد بعد انتفاضة الأقصى التي اندلعت يوم الجمعة التاسع والعشرين من سبتمبر (أيلول) العام 2000، في زمن أو ولاية أو حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك، الذي كان العام 1982 ضابطاً صغيراً مجهولاً، يقود وحدة مدرعات في البقاع اللبناني، ويستمر الحصار بهمجية أكثر في عهد خلفه رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي إريئيل شارون الذي كان وزيراً للدفاع العام 1982، وكان من مخططي حصار بيروت، وأكثر الإسرائيليين آنذاك – والآن – حقداً على الشعب الفلسطيني .
في زمن الشدّة، عندما يصبح وجود الإنسان مهدّداً بالإبادة، عندما يصبح الموت هو القاعدة، يكتشف الإنسان ذاته من جديد، وبالذات عندما يكون مُخطط الموت جماعياً، كما كان في حصار بيروت والحصار الحالي؛ بمعنى أنّ شعباً كاملاً يتعرَّض للإبادة المقصودة بتخطيط مسبق . في مثل هذا الزمن / الحالة، يصبح الموت الوسيلة الوحيدة لردع الموت، ويصبح الموت الطريق للحياة .

عشنا هذه الحالة في بيروت في زمن امتد من يوم الجمعة الرابع من يونيو (حزيران) 1982، وحتى يوم الخميس الثاني من سبتمبر (أيلول) العام ذاته، يوم اكتمال خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت، صباح يوم الجمعة المذكورة، لبداية الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان، كنتُ في دمشق في زيارة تتعلق بمشروع (حولية الثقافة الفلسطينية) الذي كنت أُشرف عليه في مركز التوثيق التابع لوكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) التي كان يرئسها الزميل الأستاذ زياد عبد الفتاح. فور سماعي أنباء الغزو، توجهت إلى موقف سيارات الأجرة، عائداً إلى بيروت.

اجتازت سيارة الأجرة منطقتي خلدة والأوزاعي في دقائق، لخلو المنطقتين من المارة والسيارات بسبب أجواء الحرب والغزو التي بدأت صباح اليوم المذكور لجنوب لبنان.

نشرت الصحف اللبنانية في أبريل (نيسان)، حوالي شهرين قبل الغزو الإسرائيلي، ما سُمِّي «سيناريو الحرب القادمة بين الجيش الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية»، على الأرض اللبنانية، كما قُدِّم في برنامج تلفزيوني أمريكي، شارك فيه خبراء من المعاهد الاستراتيجية الأمريكية، وقد طرح البرنامج عدة سيناريوهات، منها إمكانية وصول قوات الغزو الإسرائيلي إلى منطقة (الدامور) على مشارف بيروت، وضاعت الاحتمالات الواردة في هذه السيناريوهات من أذهان الناس، وسط صخب حياة بيروت وسياراتها المفخخة التي كانت تأكل الأخضر واليابس.

كانت السيارة قد أصبحت خصماً للمواطن في بيروت الغربية (الوطنية)، فهو لا يعرف متى تحصده سيارة جميلة متوقفة في زاوية أو شارع. كنّا نخرج إلى أعمالنا في الصباح، دون التأكد من إمكانية الوصول، فكل سيارة متوقفة يحتمل أن تكون مفخّخة، تخبئ في أحشائها الموت والدمار.

أصبحت بيروت الغربية غابة يتجوّل الموت في أحيائها ليلاً ونهاراً. أصبحت حقل تجارب للموت المنظور وغير المنظور.

وبدأ الغزو

في الرابع من يونيو (حزيران)، بدأ الغزو الإسرائيلي في منطقة الجنوب اللبناني. اشتبكت معه القوات المشتركة؛ الفلسطينية واللبنانية. سمعنا أنباء الاشتباكات وصمود القوات المشتركة، وكنّا قد نسينا السيناريوهات التي طرحها البرنامج التلفزيوني المذكور، لذلك اعتقدنا أنه اشتباك محدود، يشبه ما سبقه من اجتياحات إسرائيلية في السنوات السابقة، يستمر عدّة ساعات، تنسحب بعدها القوات الإسرائيلية خلف الحدود مع لبنان، لذلك استمرت حياتنا الثقافية في بيروت كالمعتاد. الصحف والمطبوعات تصدر كالمعتاد. اللقاءات والاجتماعات مستمرة في مقر الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، والجدل يحتدم حول أبعاد العدوان الإسرائيلي، وصمود المقاتلين في القوات المشتركة والمواقف العربية والدولية ...الخ.

يوم الجمعة الرابع من يونيو (حزيران)، الساعة الثالثة عصراً، وكنت قد عدت قبل ساعتين من دمشق، كانت الأمور تسير بشكل طبيعي في منطقة الجامعة العربية (الفاكهاني)، حيث الشارع الأخير للمقاومة الفلسطينية يعجّ بالحركة والنشاط. المسلحون في كل زاوية، حركة نقل الأسلحة والإمدادات مستمرة،

والقلق على كل الوجوه .
وفجأة، هدر صوت الطائرات الإسرائيلية . حلّقت أسراباً أسراباً . علت في السماء مرّة أخرى. تراكضنا في كل اتجاه، ولعلعت أصوات الدوشكا والمقاومات الأرضية، ثمّ عادت الطائرات في تشكيلات متتالية لا تقلّ عن أربعين طائرة مقاتلة، تُغير بعنف وشراسة على المدينة الرياضية في بيروت، وهي القريبة أو الملاصقة لمنطقة الفاكهاني، حيث كان فيها بعض المخازن والمراكز التابعة للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .
استمرت الغارة حوالي ربع ساعة، وكنّا، من تحت جسر الكولا، نشاهد معركة غير متكافئة بين الطائرات الإسرائيلية المغيرة والمقاومة الأرضية للقوات المشتركة .
كان منظراً شجاعاً وشريفاً من المراسلين والصحافيين، أن يهرعوا نحو المدينة الرياضية أثناء الغارة، لتغطية أخبارها، ومن بينهم كنت أُميّز الزميل (جمال) المصور التلفزيوني لوكالة الأنباء الفلسطينية (وفا).
كان يقترب من أسوار المدينة، يتعلق بالسماء حيناً، وينبطح على الأرض حيناً آخر، يصوّر الغارة تصويراً حيّاً، وكان هذا دأبه في كل الغارات والمعارك، حتى لقبناه (الفيديو المقاتل) . انتهت الغارة على المدينة الرياضة، فبدأ صفير سيارات الإسعاف والإطفاء، وأثناء قيامها بواجبها، لإسعاف الجرحى ونقل القتلى وإطفاء الحرائق، عادت الطائرات ثانية، تغير على المدينة الرياضية ذاتها، فخرج زميلنا الصحافي سمير درويش؛ رئيس تحرير الطبعة الانجليزية من مجلة (إلى الأمام)، وما لبث أن توفي في المستشفى ليكون أول شهيد من الكتّاب والصحافيين في هذه الحرب .
في السابعة من مساء اليوم ذاته، ورغم احتمالات الإغارة مجدداً، عقدنا في مقر وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)، اجتماعاً طارئاً للجنة القيادية في الوكالة، ضم:
– زياد عبد الفتاح ، مدير الوكالة .
– فهمي حسين ، نائب المدير .
– سليمان إبراهيم ، مدير التحرير. (استشهد مع بداية انتفاضة الأقصى) .
– جابر سليمان ، رئيس قسم التوثيق في الوكالة .
– رشيد الخالدي ، مدير تحرير الطبعة الإنجليزية .
– أحمد أبو مطر ، المشرف على حولية الثقافة الفلسطينية .
تدارسنا في الاجتماع طبيعة العمل في الوكالة في حالة الطوارئ والاستعدادات اللازمة في حالة الغارات المعادية، وبالذات لأن مقر الوكالة يقع في منطقة الجامعة العربية المستهدفة دوماً من العدو، وحددنا مكاتب ومواقع للطوارئ في أماكن أكثر أمناً، كما تقرّر إلغاء سفر الزميل زياد عبد الفتاح إلى المغرب، حيث كان سيشارك في مؤتمر لوكالات الأنباء العربية، وتقرّر سفر نائبه فهمي حسين بدلاً منه .
استمرت الحياة شبه طبيعية بعد الغارة الإسرائيلية، مترافقة مع العديد من إجراءات الطوارئ والاحتياطات العامة، حيث لم يكن أمام الجماهير، مدنية وعسكرية، سوى البقاء في المكان والصمود فيه، ففي هذه اللحظات المصيرية الحاسمة، كان «الفرار موتاً»، كما قال غسان كنفاني .

من ضمن الإجراءات الاحتياطية، قيل لنا: غادروا المنطقة نهاراً قدر الإمكان، إن لم تستدع أعمالكم البقاء فيها، وعودوا إليها ليلاً، فطيران العدو لا يغير ليلاً . وفجأة، الساعة السابعة من مساء يوم الاثنين السابع من يونيو (حزيران)، هدرت الطائرات المعادية، مغيرة بكافة أنواع القنابل العنقودية والانشطارية والنابالمية على كلية الهندسة في جامعة بيروت العربية، وكانت من أعنف الغارات، كسرت كل الموازين والاحتمالات، إذ تأكد أن العدو يغير نهاراً وليلاً، وهو لا يميّز بين أهداف عسكرية ومدنية، لا يفرق بين دور العلم والعبادة والمواقع العسكرية .. نعم، إنها ملامح حرب إبادة شاملة .

أطفال الـ (آر . بي . جي)

زجّ الجيش الإسرائيلي بثقله العسكري في جنوب لبنان، حيث ووجه بمقاومة عنيدة وشرسة، خاصة في مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين . قاوم فقراء المخيم، كما يقاوم الأبطال الأسطوريون، وأفرزت معارك المخيم ظاهرة أدهشت الصحافيين والمراقبين الأجانب، إنها ظاهرة الأطفال دون الخامسة عشرة، حملة سلاح الـ (آر. بي. جي)، المقاوم للدبابات، يتمترسون في الأزقة والحارات، يحملون هذا السلاح الصعب، يغيرون به على دبابات الغزاة، فيدمرونها، لذلك أطلقوا عليهم: أطفال الـ: (آر. بي. جي). وها هو التاريخ يعيد نفسه .. فالجيل نفسه في الانتفاضة الأولى والانتفاضة الحالية، يستعمل السلاح المتوفر لديه، وهو الحجارة، فاستحقوا لقب وتسمية: أطفال الحجارة!

كتابٌ ، صحافيون ، مثقفون : ماذا نفعل؟

للإجابة على هذا السؤال دعونا إلى عقد اجتماع مساء الجمعة الثامن عشر من يونيو (حزيران)، في مقر الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين . كان الوضع قد بدأ يزداد صعوبة . تقدم قوات الغزو الإسرائيلي يضيق دائرة الحصار على بيروت . التنقل صعب . الكهرباء مقطوعة، ورغم ذلك أوصلنا الدعوة للاجتماع إلى العديد من الزملاء والزميلات . عند توجهنا إلى مقر الأمانة العامة، وجدنا زميلاً يقف على الباب، يخبرنا بأنّ الاجتماع سيعقد في مقر العلاقات الخارجية لحركة «فتح»، لأسباب أمنية، ولوجود محرك كهربائي، يمكّننا من إنارة المكان، وإدارة الاجتماع .

ما هو دور الكتاب والصحافيين والمثقفين في المعركة الدائرة؟ كان هذا السؤال موضوع الاجتماع، ودارت حوله مناقشات الحضور، حيث طرحت العديد من الأفكار، منها:

– الانتشار بين الجماهير والمقاتلين لتوضيح الأبعاد السياسية لهذا الغزو، حيث لا خيار إلاّ الصمود .
– إعداد ملصقات جدارية يتم توزيعها في شوارع العاصمة .
– إعداد سيارات تطوف الشوارع، تبث شعارات ودعوات الصمود والمقاومة .
– رفد الجرائد ووكالات الأنباء والإذاعات الوطنية بما يلزمها من كوادر إعلامية وصحافية وإذاعية .
– إصدار نشرة يومية، تقوم بإدارة المعركة الإعلامية، من أجل دعم الصمود ومواجهة الغزو والحصار .

وقد تم الاتفاق على اجتماع آخر، لبلورة الصيغ التنفيذية، لما يمكن من هذه التصورات، ووضعها قيد التنفيذ .

اللقاء الثاني

عقدنا اللقاء الثاني مساء السبت التاسع عشر من يونيو، في المكان ذاته، وسط ظروف أصعب، نفسياً وعسكرياً، وقد حضره عدد أكبر من الكتاب والصحافيين . ناقش المجتمعون، بحدّة وعصبية، مجموعة التصورات السابقة، واتُّفق منها على مايلي:

1– الالتحاق بصفوف المقاتلين لمن يرغب من القادرين على استعمال السلاح وحمله .

2– الاتصال بالإذاعات والجرائد الوطنية للاستفسار عن حاجتها من الإعلاميين والصحافيين والإذاعيين.

3– إصدار جريدة يومية، لتغطية أخبار الحرب والغزو، تكون مهمتها تعبوية – سياسية، ويتم توزيعها مجاناً في كافة أماكن تجمع المدنيين والمقاتلين، واتفق على أن يكون اسمها (المعركة) وشعارها (المجد للمقاومة) .

كان تنفيذ الأمرين الأول والثاني سهلاً، فهو لا يحتاج إلى إعداد واستعدادات جديدة، أمّا الأمر الثالث، (إصدار جريدة يومية)، فلم يكن سهلاً في الظروف الجديدة، التي تتسم بالصعوبات والعجز في كافة الميادين، لذلك تشكّلت لجنة مصغّرة لإعداد ما يلزم لإصدارها، اتفقت على ما يلي:

– تشكيل هيئة تحرير تشرف على جمع المواد وتوزيع التكليفات، وتلقي الأخبار والتقارير والعمل التنفيذي للصدور .

– تحديد مكان اجتماع هيئة التحرير .

– توفير المطبعة التي ستقوم بطباعة الجريدة .

– توفير الورق والمازوت للمطبعة، حيث انقطعت الكهرباء بشكل دائم، وخيّم الظلام على العاصمة المحاصرة، وشحّت كافة المواد .

اتخذت هيئة التحرير مقراً لها في مكتب التوزيع التابع لمركز الأبحاث الفلسطينية، في منطقة كراكاس، وأبلغ المكان للكتاب والصحافيين، وتحدد ظهر كل يوم موعداً للقاء من يرغب منهم، وتكفّل الزميل زياد عبد الفتاح بتدبير كافة ما يلزم لصدور الجريدة، وتذليل الصعوبات، وقد بذل جهوداً خارقة، أدت وأمّنت صدورها .

العدد الأول من جريدة (المعركة)

صباح الثلاثاء الثاني والعشرين من(يونيو)، 1982، صدر العدد الأول من جريدة (المعركة)، نشرة تصدر عن الكتاب والصحافيين اللبنانيين والفلسطينيين والعرب في بيروت– وعلى الجانب الأيسر من الصفحة الأولى، كانت كلمة آراغون؛ شاعر المقاومة الفرنسية: «اللعنة على المحتل، ليدوّ الرصاص دائماً تحت نوافذه، وليمزّق قلبه الرعب». كان صدور العدد الأول حدثاً مفرحاً لنا، خاصة أنه يصدر في ظروف صعبة للغاية، أدت إلى توقّف بعض الصحف القديمة في بيروت . أصبحت الحياة اليومية قاسية، والحصار حول بيروت أصبح محكماً وشاملاً، والقصف والدمار مستمر، وطوق الحصار يضيق كل يوم فيتجمع المواطنون والمقاتلون في رقعة أصغر، تجعل ضربها من العدو أسهل، بخسائر أكبر .

كان العنوان الرئيسي (المانيشت) للعدد الأول، يقول: (لا خيار سوى الصمود والمقاومة) . أما الافتتاحية

(كلمة المعركة) فقد كانت بعنوان: (هكذا نفك الحصار) وجاء فيها:
«بيروت من الخارج محاصرة بالدبابات الإسرائيلية، وبالحرب النفسية وبالشلل الرسمي العربي. بيروت غارقة في الظلام والابتزاز. بيروت تعطش. ولكن بيروت الداخل، بيروت من الداخل، تعد حقيقتها الأخرى، تمتلك إرادتها وتصوب بنادقها لتحافظ على إشراق معانيها: عاصمة الأمل العربي .. بشعار «إنقاذ» بيروت الجهنمي، السلس، القاتل كالسمّ. يراد لهذا الأمل أن ينزوي في زاوية اليأس والانتحار في مسادا عربية منقولة عن الذاهبين إلى انتحارهم في أوج انتصارهم، والشرط الوحيد الذي يضعه مبتكرو لفظة «الإنقاذ» هو الاستسلام» .

....

بيروت ليست رهينة في يد الغزو الصهيوني – الأمريكي . ونحن فيها خلف متاريسنا، لا نرهن حياتنا إلا للمستقبل، ولتجدد دورة الدم في عروق كل الأجيال .

....

«إن صمودنا في قلعة بيروت، غير القابلة للتدمير، هو الأداة الوحيدة لتحريك العملاق العربي المتمدد ما بين شاطئ محيطين، وهو الأفق الوحيد الذي يطل من فوهة بندقية ومن ثقب جزمة مقاتل، ومن جرحه المضيء في هذا العصر الأسود ..» . كما ضمّ العدد الأول بياناً أصدره تجمّع الكتاب والصحافيين الفلسطينيين واللبنانيين والعرب في بيروت، بعنوان: (المعركة .. ولا خيار سوى المعركة) .

كان العدد الأول، على الرغم من طباعته السيئة، وورقه الردئ، يحمل تصور الكتاب والصحافيين والمثقفين لأبعاد المعركة، وكان مجرد صدوره قراراً ذاتياً بأنهم جزء من هذه المعركة . كان التوقيع على الكتابات والتعليقات بالاسم الحقيقي في مدينة يحاصرها العدو دليلاً على أننا لا نرهب أحداً، وأن حياتنا ترخص في سبيل دحر الغزاة، وكنا في الاجتماعات التمهيدية قد طرحنا فكرتين:

الأولى: ترى أن تكون كل الكتابات دون توقيع، أو موقعة بأسماء وهمية، لأن العدو يدق أبواب العاصمة، ويتقدم كل يوم، والعاصمة لا تخلو من عملاء محليين وانعزاليين، وعدم إعلان الأسماء فيه ضمانة لأمن الكتاب والصحافيين وحياتهم.

الثانية: ترى أن حياتنا أثناء المعركة والحصار، ليست أغلى من حياة المقاتلين، حملة السلاح في محاور القتال والخطوط الأمامية. وكذلك كي يعرف هؤلاء المقاتلون أننا معهم بأقلامنا، خاصة أن العديد من المواد الصحافية ستكون ميدانية، نسجل فيها تجارب المقاتلين في قواطع القتال ومحاوره.

وقد تغلب الرأي الثقافي، فكانت أغلب كتابات ومقالات الجريدة، تنشر بأسماء أصحابها الحقيقية، فيما عدا بعض المواد:

-كلمة المعركة (الافتتاحية)، كان يكتبها الزميل زياد عبد الفتاح.

-وكل ما نشر باسم أو(كتب المحرر السياسي) فكان للزميل الشهيد حنا مقبل.

دراسة العدد الأول
اجتمع عدد من الكتاب والمثقفين، ظهر يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من يونيو 1982، في مقر هيئة التحرير في (كراكاس)، لمناقشة ودراسة العدد الأول من (المعركة)، واقتراح ما يمكن أن يسهم في تطويره. في الوقت ذاته، كان الجحيم، كل الجحيم، يصب على مناطق بيروت الوطنية كافة. اليوم هو اليوم (الثامن عشر) من أيام الصمود والحصار.وكم كان رائعاً ومفرحاً لنا الخبر الذي طيرته وكالات الأنباء:
«هاجم الثوار الفلسطينيون، أمس، باصاً إسرائيلياً على مشارف مدينة صور، فيما كان يقلّ مجموعة من الجنود الاسرائيليون العائدين من جبهات القتال، وقد اعترف الاسرائيليون بقتل وجرح العديد من جنودهم».
رفع الخبر معنوياتنا. وكان الاسرائيليون يحاولون التقدم في الجبل على منطقتي عالية ويجمدون من محاور متعددة، بقصد السيطرة على مناطق الجبل، بعد أن تم تسلله إلى شمالها من المنطقة الشرقية للعاصمة، بعد وصوله إليها وإلى الحدث وبعبدا ارتفعت وتيرة النقاش بين الحضور، وبالذات حول موقف الاتحاد السوفييتي من الغزو والحصار. وكانت الغالبية في موقف اللوم والعتاب الشديدين، والقلة ترى أن الموقف السوفييتي يحتاج إلى وقت كي يتضح ويتبلور، لذلك تقرر أن تكون افتتاحية العدد الثاني حول هذا الموضوع، دون نقد شديد أو تجريح . وتقرر في هذا الاجتماع أن يتولى مسؤولية سكرتارية التحرير التنفيذية الزميل الشاعر عز الدين المناصرة وأنا، وأن يكون رئيس التحرير والمرجع الأول لكافة ما يتعلق بأمور الجريدة الزميل زياد عبد الفتاح .
جاءتنا في المساء بلاغات الناطق العسكري باسم القيادة المركزية للقوات المشتركة، موردة تفاصيل القتال من صباح هذا اليوم وحتى المساء.
ومع وصول بلاغات الناطق العسكري، كانت مواد العدد الثاني قد اكتمل وصولها وتجميعها، إلاّ أنّ العمل التنفيذي لإصدار العدد لم يكن سهلاً، فالقصف مستمر على الجبل ومناطق العاصمة المحاصرة، الكهرباء مقطوعة، والوصول إلى المطبعة ليس سهلاً.
احتجزنا القصف ساعتين في ملجأ بناية في الحمراء، وحوالي التاسعة ليلاً، تمكنا من إيصال المواد إلى المطبعة، للبدء في صفّها(التنضيد)، وعادت إلينا منتصف الليل، ليبدأ التنفيذ والاخراج، الذي كان يستمر حتى الرابعة والخامسة صباحاً، مع ما يطرأ أثناء ذلك من ضرورة سحب بعض المواد وتأجيلها، ودفع بعض المواد الضرورية للصفّ، كي تلحق بمواد العدد الذي سيصدر بعد ساعات قليلة، الذي كان يصدر عادة حوالي الساعة الثامنة صباحاً.
كان العدد الثاني متطوراً عن العدد الأول، على الرغم من صعوبة الظروف التي صدر فيها. تحولت الجريدة إلى ما يشبه غرفة عمليات إعلامية استقطبت غالبية الكتاب والمثقفين. وفي العدد نفسه، والأعداد اللاحقة، بدأنا ننشر معلومات/ خدمات ميدانية للمواطنين المحاصرين، فقد جاء في الصفحة الرابعة موضوع بعنوان: (ما العمل في أعقاب الغارة الجوية، أو القصف المدفعي).

الحرب النفسية

كانت إذاعة (صوت لبنان) الناطقة بلسان حزب الكتائب، من أخطر أسلحة العدو النفسية، إذ كانت تقدم له خدمات وتسهيلات تعجز عنها الأجهزة المتخصصة، وكان واضحاً أنّ هذه الإذاعة تعمل بالتنسيق مع الأجهزة الإسرائيلية؛ فمثلاً دوّى انفجار هائل مساء الأربعاء الثالث والعشرين من يونيو، وقبل أن يُعرف مصدره، ولم تبدأ التحريات في منطقة (الهوليدي إن)، مكان الانفجار، قريباً من بنايات يسكنها مهجّرون لبنانيون، سارعت إذاعة الكتائب إلى الإعلان «بأن الانفجار كان مصدره مستودعاً للذخيرة يتبع جيش التحرير الفلسطيني، وأن خسائره بالمئات من قتلى وجرحى، ويشك أنّ في المنطقة مستودعات أخرى على وشك الانفجار»، وبعد لحظات بثت الإذاعة الإسرائيلية الخبر كما بثته إذاعة الكتائب، وفي الليل واصلت الأجهزة الأمنية التابعة للقوّات المشتركة البحث والتحري، خاصة أن المنطقة سكنية وتخلو من أي مخازن للذخيرة، وتمكنت الأجهزة الأمنية من الوصول إلى الحقيقة، التي نشرناها على الصفحة الأولى من العدد الثالث الصادر صباح يوم الخميس الرابع والعشرين من يونيو، وكانت كالتالي:

«يوم / ليلة أمس، استطاعت اللجنة الأمنية، أن تضع يدها على أخطر شبكة للتفجير، حين ألقت القبض على سائق سيارة مرسيدس اسمه (حسين ...)، حينما كان يحاول وضع السيارة المفخخة التي تحمل (120) كيلوغراماً من المواد البلاستيكية المضغوطة شديدة الانفجار قريباً من صبرا، وقد اعترف السائق بأن ثماني سيارات أخرى مفخخة دخلت بيروت المحاصرة، خلال اليومين الماضيين، وأنّ ضابط الارتباط الذي يقوم بالإشراف على الشبكة عميل إسرائيلي من الكتائب اسمه (إيلي قرداحي) ...» .

قف وفكّر

تصاعدت الحرب النفسية ضد المحاصرين في بيروت، مدنيين وعسكريين، فقد ألقت الطائرات الاسرائيلية فوق بيروت المحاصرة، يوم الخميس المذكور، بياناً عنوانه: (قف وفكّر)، دعت فيه المحاصرين إلى مغادرة بيروت الغربية (الوطنية)، إلى بيروت الشرقية، الآمنة دون مشاكل، في حماية الجيش الإسرائيلي وقوات الكتائب . وكان أخطر مشاركة في هذه الحرب النفسية، هو تصريح بشير الجميل الذي نشرته قبل يومين مجلة (نوفيل أوبسر فاتور) الفرنسية، حيث قال فيه «إن الجولة الأخيرة من الحرب اللبنانية لم تبدأ بعد . ولكن هناك شعاعاً يتراءى الآن من وراء الأفق . إنّ أسباب الحرب الجديدة في لبنان، ترجع إلى أن هناك شعباً زائداً عن الحاجة، في هذا الجزء من العالم هو الشعب الفلسطيني، ففي المنطقة أربعة بلدان وخمسة شعوب» .

وكان من التداعيات الأولى للصمود في وجه الحصار البشع:

1– تشكيل أحزاب المعارضة في مصر لجنة عليا للتضامن مع الشعبين اللبناني والفلسطيني، ومن الأحزاب المشاركة فيها: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، وحزب العمل الاشتراكي، وأعلنت اللجنة أنها سوف تنظم مسيرات للتضامن، وتقوم بحملة موسعة لجمع التبرعات .

2– قيام إمنيون روبنشتاين من حركة (سينوي) في الكنيست الإسرائيلي بمخاطبة ميناحم بيغن، رئيس

الوزراء الإسرائيلي آنذاك قائلا: «أنتم قلتم: إن هذه الحرب سوف تنتهي خلال 48 ساعة. أما وقد ثبت أنها أطول حرب في تاريخ إسرائيل فإنه يبغي عليكم أن تواجهوا الواقع، وتضبطوا أنفسكم، وأن تتخلوا عن الكذب» .

الجمعة 25 يونيو 1982
اليوم الرابع والعشرين للحصار والحرب كان متميزاً في وحشيته وعنف تدميره . فقد شمل القصف الإسرائيلي مناطق واسعة من مدينة بيروت المحاصرة، ابتداءً من مستديرة المطار حتى كورنيش المزرعة والجامعة الأمريكية، مروراً ببرج البراجنة وبئر حسن والرمل العالي وحارة حريك والرملة البيضاء والفاكهاني والطريق الجديدة ومخيمي صبرا وشاتيلا، واستمر القصف المدمر المحرق حتى السادسة مساءً، منتهياً بغارة جوية على مقابر الشهداء .
وسط هذا الخراب والدمار، جاء خبر استقالة (هيغ) وزير الخارجية الأمريكي، مؤكداً أن استمرار الصمود سوف يُحدث العديد من التطورات، وفي الوقت ذاته، ودون علاقة بين الاستقالتين، أعلن وليد جنبلاط، عضو هيئة الإنقاذ الوطني، استقالته من الهيئة، وكذلك استقالة رئيس الوزراء شفيق الوزّان وستة وزراء من الحكومة اللبنانية . كذلك طيّرت وكالات الأنباء خبراً غير عاجل، يثير الضحك والبكاء معاً، مفاده:
(قرّر وزراء خارجية الدول العربية عقد مؤتمر طارئ لهم يوم الثلاثاء القادم في تونس، لبحث إمكانية عقد مؤتمر قمة عربي حول الاجتياح الإسرائيلي للبنان) .
ألم يكن من حق المحاصرين آنذاك في بيروت والمحاصرين الآن، ومنذ تسعة شهور، في قطاع غزة والضفة الغربية، أن يتذكروا ويربطوا ويقارنوا كيف أن التاريخ العربي يعيد نفسه دوماً بالنسبة لقضيتهم، ولكن دوماً على شكل (مسخرة) .. ألم يقل أبو الطيب المتنبي عن بعض أشكال الضحك: (لكنه ضحكٌ كالبكا)! وقالت العرب العاربة والمستعربة: (وشرّ البلية ما يضحك)! وتعليقاً على ذلك (المضحك المبكي)، صدر العدد الرابع من جريدة (المعركة) صباح السبت السادس والعشرين من يونيو، وعلى صفحته الأولى، افتتاحية العدد بعنوان:
(ما يُبكي لا يُضحك .. وما يُضحك لا يُبكي هذه المرة!)
وقد جاء فيها:
«نحن الواقفين وراء متاريس الرمل ،
نحن العرايا أمام أحدث الطائرات ،
نحن المدججين بأقوى الأسلحة: الإيمان والإصرار على الصمود والقتال ،
ندعو الدول العربية إلى التحلي بهدوء الأعصاب وضبط النفس، لأن «العدو الغادر» ينصب لكم الفخاخ .. فخ الدفاع عن الوطن والنفس فاجتنبوه، ويقترب من أسرَّتكم فاذهبوا إلى الحمّام» .

إلى قواطع القتال

ضاقت المساحة التي تجمعت فيها غالبية القوى الفلسطينية والوطنية اللبنانية، وأحكم الحصار براً وبحراً وجواً، وبدأ العديد من الكتاب والصحفيين والمثقفين يذهبون إلى قواطع القتال، ومتاريس المقاتلين الصامدين بتحد لا يمكن وصفه . كان الغرض من الذهاب تسجيل شهادات ميدانية مع المقاتلين والعسكريين، لنشرها في صفحة خاصة، بدأنا نُفردها في جريدة (المعركة) بعنوان (شهادات) . وكانت المواد / الشهادات الميدانية لها وقع خاص، فهي مادة حيّة، ينقلها أو يكتبها الكتاب والصحافيون مباشرة من أفئدة المقاتلين الصامدين في الخطوط الأمامية .

تطورت الجبهة الثقافية في وجه العدو وحصاره . كنّا كل يوم نستلهم أفكاراً جديدة، من واقع قرار الصمود والتحدي . بدأ الفنانون يحملون آلاتهم الموسيقية البسيطة للمستشفيات وخطوط الدفاع الأول وأمام سكن المهجّرين، يغنون الأغاني الوطنية، وكان لهذا الجهد الفني تأثيره الملحوظ في نفوس كافة قطاعات الصامدين المحاصرين .. وكان من الفنانين الذين قدموا الكثير في مجال الجبهة الفنية خالد الهبر، ومارسيل خليفة، وعدلي فخري، الذي اشتهرت أغنيته التي كتبها زين العابدين فؤاد، وتقول كلماتها:

«من صبرا للمنارة
من الحمرا للشياح
إملوا الطرق سلاح
سلاح . سلاح . سلاح
نحمي ظهور الشوارع
نحمي شمس الصباح
نحميها بالمدافع
من بيت لبيت
نحمي كل البيوت
نسقي قنديلنا زيت»

صوت فلسطين .. صوت الثورة الفلسطينية

في هذه الأثناء كانت إذاعة صوت فلسطين، تقوم بدور فاعل ومؤثر، أسهم في توعية المواطنين والمقاتلين ودعم صمودهم، وكان على صوت فلسطين كإذاعة أن تعمل في ظروف صعبة، فهي تتنقل من ملجأ إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، حسب الظروف الأمنية، وكي لا تصطادها طائرات العدو التي لم تترك مربعاً من بيروت الوطنية دون غارات أو قصف . التف عدد كبير من الصحافيين والكتّاب حول الإذاعة، حول مقراتها المتنقلة، يرفدونها بالأخبار والتعليقات والقصائد، ويرصدون المعارك وأخبار المواجهة . وكان الرد على الحملة النفسية لإذاعة العدو الإسرائيلي وإذاعة الكتائب جزءاً أساسياً من عمل الإذاعة ومهماتها، وقد كان دور الإذاعة ملحوظاً في تفنيد أكاذيب العدو وشائعاته الرامية إلى خلط الأوراق،

وبثّ الرعب في نفوس المحاصرين الصامدين .

الاثنين 28 يونيو / حزيران 1982
اليوم السادس والعشرون للحرب والحصار
بلغت اليوم الحرب النفسية ذروتها، فالمبعوث الأمريكي فيليب حبيب، في قصر بعبدا، يوزّع شروط العدو المذلة، وسط تآمر السلطة اللبنانية ممثلة في الرئيس إلياس سركيس ووزير خارجيته فؤاد بطرس، وأحاديث بشير الجميل وخطاباته وتصريحاته، حيث ركزّ كلهم على تفتيت جبهة الصمود في وجه الحصار عبر شائعات شبه يومية .
وكانت شائعة اليوم، التي روّجت لها إذاعة الكتائب، حول قرب وصول خمس سفن مصرية لإخراج الفدائيين الفلسطينيين، ونقلهم إلى مصر، وهو الخبر الذي نفته منظمة التحرير والحكومة المصرية .

الأربعاء 30 يونيو / حزيران 1982
اليوم الثامن والعشرون للغزو والصمود
تميّز اليوم باستمرار أعمال الثأر والعنف والقتل التي يقوم بها المسلحون الكتائبيون ضد أبناء الطائفة الدرزية في قبيع وراس المتن وغيرها من قرى الجبل، فأضافت هذه الأعمال جرحاً جديداً لآلام الصامدين وسط حصار شامل، صاحبه انقطاع كامل للكهرباء، ونقص في إمدادات الماء ومواد التموين .
كما وصلتنا اليوم أخبار حول اعتقال العدو الإسرائيلي في الجنوب الكاتبين اللبنانيين عباس بيضون وحسن داود، وتأكد لدينا أن الزميل الفنان ناجي العلي قد تم اعتقاله وأطلقوا سراحه بسبب شيب رأسه الذي صنّفه بين الشيوخ ما زال حراً في الجنوب، إذ لم يتعرف عليه العدو ..
بدأ توزيع جريدة (المعركة) يزداد بشكل واسع، فرفعنا الكمية المطبوعة إلى (7000) نسخة يومياً، كان الشباب يوزعونها في الشوارع وأماكن تجمع المهجرين، وبالسيارات على قواطع القتال المختلفة، كان فاعلاً ومؤثراً عندما بدأنا نتسلّم رسائل القراء من المواطنين والمقاتلين .
وكانت أول رسالة ننشرها من رسائل القراء رسالة مؤثرة، وصلتنا من مقاتل وقعّ باسم (أبو سامر)، نشرناها على الصفحة الثانية من العدد (الثامن) الذي صدر صباح الخميس، الأول من يوليو (تموز) 1982 . قال المقاتل (أبو سامر) في رسالته الموجهة إلى زوجته:
«زوجتي الغالية . من بيروت الصامدة، بيروت الكرامة، أبعث إليك ولأشبالي الأربعة بحبي الكبير، ذلك الحب الذي يساوي عندي حبي للشهادة، اعلمي يا غاليتي أن قرارنا هو القتال حتى الشهادة أو النصر، ولن نستسلم، أسألك هل عاد ولدنا سامر من معركة الجبل سالماً؟ إذا عاد فبلغيه أننا قيادة وكوادر وعناصر قد أقسمنا أن نستمر بالثورة حتى النصر أو الشهادة، وإذا كتبت لنا الشهادة فارسلي سامر شمالاً وماهر جنوباً وزاهر شرقاً، أما ثائر الصغير فارضعيه، لبن الحقد والكراهية لكل الزعماء العرب المتخاذلين، كلٌ باسمه وأنت تعرفينهم، وأرضعيه كل الحب والتعلق بأرض فلسطين، وأخبريه بأن أباه قد قُتل بيد صهيونية، وبدعم أمريكي، وصمت عربي ودولي، ولتكن طريقه غرباً ... هذه وصيتي وليس

لقاؤنا بمستحيل» .

خبرات جديدة
كنّا أثناء الحصار، نكتسب كل يوم خبرات جديدة في ميدان صحافة الحرب والحصار، والتصدي الثقافي للعدو. تعوّدنا بجرأة رهيبة التنقل وسط القصف والرصاص . نركض من شارع إلى شارع، وفي يد الواحد منّا مقالته أو قصيدته، نركض أملاً في الوصول إلى مقر اجتماع هيئة التحرير. تصعد السلالم إلى الطابق الثاني، فلا تجد أحداً . تدرك عندئذ أن الاجتماع نُقِل إلى مكان آخر، فتذهب إلى المكان البديل المتفق عليه سلفاً .
كنا نحاول الانتهاء من الاجتماعات في أقصر وقت ممكن، كما صار عدد الحضور يزداد كل يوم، عشرون كاتباً وصحافياً على الأقل في أي اجتماع . عربٌ من أغلب الجنسيات، كلهم صُهروا في الحصار، فأصبحوا جبهة ثقافية موحدة، تدير معركة إعلامية في كل المحاور والساحات . كانت ظروف الاجتماع تزداد صعوبة كل يوم، خاصة أنّ مقر الاجتماع كان قد نُقِل إلى شقة تواجه البحر تماماً، وهذا يعني احتمال إصابته من قصف البوارج المعادية وارد، وقبل يومَين من آخر اجتماع سقطت قذيفة على الشقة المجاورة فأحرقتها .
لقاءات صحافية مع القيادات السياسية
أقرت هيئة التحرير في اجتماعاتها إجراء مقابلات صحافية مع عدد من القيادات السياسية لفصائل المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، كي يقرأ المحاصرون رأي هذه القيادات فيما يجري، وقد كانت المقابلة الصحافية الأولى مع الأخ صلاح خلف (أبو إياد)، أجراها معه الزميل زياد عبد الفتاح، رئيس تحرير جريدة (المعركة) وقد نُشرت المقابلة في العدد التاسع، الصادر صباح الجمعة، 2 يوليو (تموز) 1982 .

إذاعة «صوت لبنان العربي»
«صوت لبنان العربي»، إذاعة حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) . كانت هذه الإذاعة صوتا نضالياً حقيقياً . كانت النقيض الموضوعي لـ «صوت لبنان»، إذاعة حزب الكتائب، إذاعة العدو في الداخل . لقد غطّت أو سدّت إذاعة (المرابطون) الفراغ الإعلامي الناتج عن ضعف بث إذاعة الثورة الفلسطينية، بسبب تنقلها الدائم من مقر إلى مقر، وبعد تدمير أبراج ومراكز إرسالها وتقويتها في الجنوب اللبناني . كانت إذاعة «صوت لبنان العربي»، مقاتلاً حقيقياً. كانت في مستوى الحدث واللحظة التاريخية . أصبحت الصديق الوفي والحنون والصادق للمقاتلين والمواطنين . كانت بالمرصاد لكل ما تذيعه الإذاعات المعادية.
كانت تصريحات (إبراهيم قليلات) شبه اليومية في الإذاعة، من أهم التصريحات التي تعكس الوجدان والموقف الوطني على حقيقته، وكان صوت مرسيل خليفة ينطلق كل يوم من الإذاعة دافئاً حزيناً صبوراً، وهو يعلن البيان السياسي الأول والأخير للشعب المحاصر:
«صامدون

صامدون هنا خلف هذا الدمار العظيم
صامدون
وفي يدنا يلمع الرعب
في القلب غصن الوفاء النضير
صامدون هنا باتجاه الجدار الأخير
صامدون .. صامدون»

المجد للمقاومة

«المجد للمقاومة» الشعار الذي ثبتناه على يسار الصفحة الأولى من الجريدة، إذ دخلت المعركة والحصار شهرهما الثاني . ثلاثون يوماً من الصمود وسط أقسى الظروف . قطعوا الماء والكهرباء . منعوا الإمدادات الطبية والتموينية . اختفى الوقود نهائياً . وبدأ شبح المشكلة التموينية يطل برأسه بشعاً وشرساً .

في اليوم الثلاثين للصمود والحصار السبت 3 يوليو، كنا نستقبل أبناء المعارك خلف خطوط العدو، وتظاهرات شعبنا في فلسطين المحتلة، وفي الوقت ذاته الخبر اليومي الدائم حول العجز العربي وسكوت القادة العرب . كان علينا في جريدة المعركة، والإذاعات الوطنية، أن نوصل أي أنباء تدعم معنويات المقاتلين الصامدين وسط الحصار . لذلك كنّا نتابع وننشر كل ما يتعلق بالقتال ضد العدو النازي في جنوب لبنان، الذي يدّعي أنه يسيطر عليه تماماً .

ومع صدور العدد العاشر من «المعركة» الصادر صباح السبت 3 يوليو 1982، كانت ملامح الجريدة، قد أصبحت واضحة، وكانت صفحاتها الأربع قد أخذت النسق التالي:

– الصفحة الأولى: الافتتاحية و(كتب المحرر السياسي) الذي هو الزميل حنّا مقبل .
– الصفحة الثانية: للموضوعات السياسية وأخبار المعارك والقتال .
– الصفحة الثالثة: للشهادات الميدانية والزوايا العسكرية، خاصة حول (حرب المدن) و(قتال الشوارع) .
– الصفحة الرابعة: للشعر والوجدانيات والكاريكاتير، كما أصبحت الزاوية التي يكتبها الشاعر معين بسيسو بعنوان: (المتاريس) تكاد تكون ثابتة، فيما عدا الأعداد الأخيرة .

حنا مقبل و«طلب انتساب»

شهد العدد العاشر جدلاً واسعاً بعد صدوره، حول ما كتبه حنّا مقبل بعنوان: «طلب انتساب»، ومما جاء فيه:

«أن تكون فلسطينياً يعني أن تكون مقاتلاً تحت قيادة ياسر عرفات . ففي الوقت الذي يحاولون فيه الفصل بين القضية والثورة، يكون الانتماء للثورة هو المعيار الوحيد للمواطنة، فالثورة في غياب الوطن، هي الوطن...

أن تكون فلسطينياً الآن يعني أن تكون جزءاً من الأطر الثورية في اللحظة نفسها التي يحاولون خلالها

الإجهاز على هذه الأطر . أن تكون فلسطينياً يعني أن تقول وبأعلى صوتك: أنا ابن فتح .. أنا ابن الشعبية... أنا ابن الديمقراطية .. لأن هذه الأطر الآن هي جواز السفر، هي الوطن، هي فلسطين .
وأنا المواطن الفلسطيني حنّا مقبل البعيد عن أية علاقة تنظيمية منذ سنوات طويلة، أتقدم الآن بطلب انتساب، لأنني أريد أن أموت فلسطينياً» .
دار نقاش وجدل واسعان في صفوف الكتاب والصحافيين حول غرض حنّا مقبل من »طلب الانتساب« هذا، خاصة أنه كان من كوادر حركة «فتح» المتقدمين، قبل سنوات، وترك الوضع التنظيمي أيضاً لأسباب ومشاكل متعددة، وكان أثناء الحصار لا يزال الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين .
ولم يكتف حنّا مقبل بأن يكون (المحرر السياسي) لجريدة (المعركة)، لكنّه حوّل مكتب (القدس برس) التي كان يديرها إلى مكتب عمل ونقاش مفتوح لمن يريد، وكنا نصعد إلى الطابق السادس مشياً على الأقدام، فتتوزع غرف (القدس برس)، نكتب ونناقش ونرسل المقالات والتعليقات إلى الصحف العربية .

الدم والماء

قرأ القائد العام الرئيس ياسر عرفات ما كتبه حنا مقبل بعنوان «طلب انتساب»، فردّ عليه برسالة شخصية، أطلعنا عليها من مكتبه في (القدس برس) وبعد نقاش واسع، وامتناع من حنّا مقبل، تم إقناعه بنشرها على صفحات جريدة (المعركة)، فكان نشرها على الصفحة الثانية من العدد (الرابع عشر) الصادر صباح الخميس 6 يوليو 1982، مع صورة زنكوغرافية للرسالة بخطّ القائد (أبو عمّار)، وهذا نصها:

«أخي حنا
تحية الثورة، وبعد..
عمر الدم ما بيصير ميّ
مرحباً بك في قواعدك الفتحوية»

(توقيع) أبو عمار
1982/7/5

وفي ذلك الأسبوع، كان الحديث منصبّاً على شجاعة وبطولة العقيد عبد الله صيام، قائد محور خلدة، الذي سجّل هو ومقاتلوه الشجعان بطولات في وجه التقدم الإسرائيلي على ذلك المحور المؤدي إلى بيروت.
كان المقاتلون الذين صمدوا معه حتى استشهاده يتحدثون عن شجاعته وحنكته في القتال، فيبدو لنا وكأنه بطل أُسطوري طالع من الملاحم الإغريقية .

الشهر الثاني

دخلت الحرب / الغزو والحصار الشهر الثاني، وكان قد أُعلن عن وقف إطلاق النار أكثر من مرّة، فيستمر ساعات أو أياماً قصيرة .

وكان قد بدا واضحاً أن القيادة الإسرائيلية لا تعتبر أنّ وقف النار يعني إلزامها بعدم التقدم نحو وفي بيروت والتوسع في كل اتجاه، وهو ما أكّده الدخول العسكري الإسرائيلي إلى خطوط التماس في بيروت الشرقية (تحت سيطرة حزب الكتائب) وضواحيها، وانتشار قواته من (المرفأ) إلى (بدارو) مروراً بقصر العدل، وإقامة قيادة عسكرية ميدانية إسرائيلية في بناية (أبو حمد) المجاورة لبرج رزق، وقد انسحبت حواجز الجيش اللبناني لتحل محلها مجموعات عسكرية اسرائيلية مدعومة من قوات الكتائب .

بعد هذا الانتشار للقوات الإسرائيلية الغازية، الذي أعقب انعقاد مؤتمر صحافي لوزير حرب اسرائيل في قلب الأشرفية، عملت الحواجز الإسرائيلية الكتائبية المشتركة على منع العبور من بيروت الشرقية إلى الغربية، وسمحت بالعبور في اتجاه واحد نحو الشرقية، وقد شمل المنع السيارات المدنية، وكل سيارات التموين والمواد الغذائية والمحروقات، بغرض تقييد الحصار وتضييقه، تمهيداً لإمكانية اقتحام بيروت الوطنية (الغربية) . وقد ترافق هذا مع تفجير عسكري في الضاحية الجنوبية، عندما حاولت خمس دبابات إسرائيلية اختراق محيط كلية العلوم باتجاه حي الليلكي، فتصدّت لها القوات المشتركة، وأُعطبت اثنتان منها، واضطرت الدبابات الأخرى إلى التراجع والانسحاب .

استمرت المعارك العنيفة، من كافة المحاور، طوال يوم الاثنين 4 يوليو 1982، في محاولة إسرائيلية لاحتلال مطار بيروت، وقد كانت هذه المعارك من أعنف ما شهدته الحرب، إذ كان احتلال مطار بيروت هدفاً مادياً ومعنوياً، فمجرد احتلاله يعني أنّ العدو تمكّن من تحسين مواقعه، وأصبح بإمكانه استعمال المطار لأغراض عسكرية متنوعة، بإضافة إلى ما يعنيه احتلال المطار من زعزعة معنويات الجماهير المحاصرة .

رسالة القذافي الغريبة .. كعادته

كنّا كصحافيين وكتاب، نحاول قدر الإمكان اللحاق بكل هذه التطورات، لتغطيتها بالمقالات والتحليلات والشهادات الميدانية، ليس في جريدة (المعركة) فقط، ولكن في صحف أخرى سيأتي ذكرها . ونحن نركض في هذا الماراثون الصعب الشاق، وصلت إلينا مدنيين وعسكريين، الرسالة الغريبة / العجيبة، للعقيد معمر القذافي، التي وجهها للمحاصرين في بيروت، يطالبهم فيها بالانتحار فهو أفضل من الانسحاب .

وقد أثارت جدلاً واسعاً واستنكاراً كبيراً من كافة الأوساط الفلسطينية واللبنانية الوطنية، ناقشنا الأمر في اجتماع هيئة التحرير، وكان الإجماع على أن يكون الرد الرئيسي عليها هو نشر رسالة / رد القائد ياسر عرفات التي أرسلها للقذافي، لذلك حملت الصفحة الأولى من العدد (الحادي عشر) الصادر صباح الاثنين 5 يوليو 1982 نص الرسالة / الردّ، ومما جاء فيها:

«تلقيت رسالتكم، وقد استغربت منكم لهجة اليأس التي كتبت بها . وقد كنت أفهم أن تكون لهجة اليأس

هذه موجهة إلى غير الصامدين أبطال اللبنانيين والفلسطينيين في بيروت الباسلة الشجاعة المحاصرة . إنّ قرارنا الذي أخذناه ويشهد العالم عليه، وعلى شجاعة هؤلاء الأبطال المرابطين الصامدين الذين يضيق العدو عليهم الحصار، بكل آلته العسكرية الأمريكية الحديثة، ويلقى من الإدارة الأمريكية دعماً غير محدود على كافة المستويات، التي وصلت حدّ السيطرة على إعلامنا العربي، بل على الوجدان والضمير العربي، فلم نسمع بمظاهرة واحدة خرجت من المحيط إلى الخليج، اللّهم إلاّ هذه التظاهرات الجارية في أرضنا المحتلة .
إنّ هؤلاء المرابطين الصامدين كانوا يتوقعون على الأقل طائرات الأمة العربية، وهم يخوضون أطول حرب عربية – إسرائيلية، أن تطير لتغطي سماءهم وتحمي أطفالهم ونساءهم وتقوم بَحْرية الأمة العربية، وما أكثرها، بفك الحصار عنهم من هذا الخندق الأمامي لأمتنا العربية، الذي إن سقط، لا قدّر الله، ولن يسقط، بل سيصمد وينتصر، فإنّ أشياء كثيرة ستتساقط بعده في هذه المنطقة العربية ...
«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون لو كنتم مؤمنين». ولا بدّ من أن أذكرك يا أخ معمر بالجلسات المتعددة بيننا، ولو أن ما اتفقنا عليه قد نُفذ لما تجرأ العدو على ما تجرأ عليه ..
.... وإنها لثورة حتى النصر»

التوقيع (القائد العام أبو عمار)

موقف الكتاب والفنانين المصريين

في هذه الأثناء، كان يتضح موقف داعم وحاسم، في أوساط الكتاب والمثقفين والفنانين المصريين، ففي السادس من يوليو 1982، عقد المثقفون والفنانون المصريون مؤتمراً تحت شعار (ليس من أجل فلسطين ولبنان، وإنما من أجل مصر)، تحدث فيه كل من الفنان عادل إمام، وعبد الرحمن أبو زهرة، ومحسنة توفيق، ونادية لطفي، ويوسف شاهين، وصلاح السعدني، وكرم مطاوع، والمخرج التلفزيوني محمد فاضل، والفنان التشكيلي صالح رضا، ورئيس اتحاد المهن الفنية سعد الدين وهبة .
وقد أصدروا بياناً استنكروا فيه الغزو والعدوان الإسرائيلي، وأعلنوا تضامنهم ومساندتهم للمقاتلين في لبنان، كما اتخذوا قراراً بالمساندة المادية والأدبية لكل فنان مصري يُضار بسبب مقاطعته لإسرائيلي، وأصدروا بياناً كان من ضمن ما أكّده:
1– عروبة مصر حتمية مصيرية من دونها تُضيّع مصر الوطن العربي .
2– تضامن الشعب المصري مع الشعب الفلسطيني ليس تضامناً عاطفياً وأخوياً فقط، وإنما هو ارتباط عضوي بين أجزاء الكيان الواحد .
3– إنّ الحروب التي خاضتها مصر لم تكن من أجل فلسطين، بقدر ما كانت دفاعاً عن شعب مصر وعن تراب مصر .
4– المطالبة بإقرار حق العاملين داخل الهيئات الحكومية في رفض التعامل مع إسرائيل .

كلامنا بلدي

من ضمن الدعم اللامحدود الذي كان يقدمه الكتاب والمثقفون للإذاعة الفلسطينية، تميّز البرنامج اليومي الذي كان يقدمه الزميل الروائي رشاد أبو شاور في إذاعة الثورة الفلسطينية، بعنوان (كلامنا بلدي) باللهجة العامية الفلسطينية، وباسم (ابن كنعان)، وكنا ننشر بعض حلقاته في جريدة (المعركة)، تميز البرنامج، وأصبح له جمهوره ومتابعوه، وكان يذاع عصر كل يوم، وتعاد إذاعته صباح اليوم التالي .

إذاعة الثورة العربية

كان حجم الهجمة المعادية، يستدعي رصّ كل الجهود والفعاليات، لدعم صمود المدينة المحاصرة، وضمن هذا الهدف، كان لـ (إذاعة الثورة العربية) الناطقة بلسان «رابطة الشغيلة» دور مميز، وكان خطها الإعلامي يعتمد على تعبئة الجماهير من أجل القتال، لذلك قامت، منذ الأيام الأولى للحصار، بدور هجومي ضد المفاوضات السياسية التي كان المبعوث الأمريكي قد بدأها، بهدف وضع آلية خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان .

وكانت الإذاعة الوحيدة ذات الطابع الواضح في صراحته المحرجة . كانت إمكاناتها ضعيفة للغاية، فالبث الإذاعي يتم من ملجأ بناية قيد الإنشاء، فأُعد الملجأ ليكون مقراً لها، وقُسِّم بالأخشاب لتتشكل فيه غرفة للبث، وغرفة للتحرير والاستماع، وقد واصل العاملون فيها البث والعمل في ظروف صعبة للغاية، ومع ذلك كانت مواجهة الغزو والحصار تجعل الجميع يتغلبون على كل الصعاب .

وعن (رابطة الشغيلة) التي كان يترأسها زاهر الخطيب، كانت تصدر جريدة يومية باسم (صوت الشغيلة)، كان لها نفس خط ودور الإذاعة، وكانت الصفحة الثالثة مخصصة للكتاب والمثقفين، وتميزت بزاويتها اليومية «أضاليل وحقائق» على الصفحة الثانية، لمعالجة الأوضاع والأحداث بأسلوب متهكم ساخر، حاد في نقده وتعريته .

ومن نماذج هذا النقد الساخر، ما نشرته (صوت الشغيلة) في عددها 1290، الأحد 6 يونيو (حزيران) 1982، بعنوان (كلمة مفتوحة إلى السادة المسؤولين في الدولة اللبنانية)، ومما جاء فيها:

«أيها السادة .. صاحب الفخامة العضو المرشح إلى الجبهة اللبنانية برئاسة الزعيم المتقاعد كميل شمعون، وبقيادة رئيس المجلس الحربي كميل شمعون . دولة رئيس الحكومة الأستاذ شفيق الوزّان، الممسك بكرسي رئاسة مجلس الوزراء، إمساك الغريق بقشة، وقد أغرقتك على ما يبدو بحار الجشع فما شبعت، حتى ألحقت اللطش بالغش والكذب . حضرات قادة المجزرة .. جنرالات آخر طراز الدورات الأمريكية التدريبية، الخبراء في محافل القتل والإبادة . ننعى إليكم بكل فخر .. وبكل قرف من التصريحات المتلفزة التي أعلنت تقديم شكوى لمجلس الأمن الدولي، وقد امتلأ لكثرة ما شحنتموه، ندباً على الجنوب لا حياء . لا خجل .. حضرات السادة ....

بأي منطق يزعم الدوتشي بشير أنّ الأهداف التي ضربها العدو كانت عسكرية . فما كان تعداه إلا مؤشراً على الحقيقة . اثنتان وسبعون امرأة أُصبن بالأمس، على عدد اللعنات التي حلّت بجيش البرزة يوم قتل

الأبرياء في عين الرمانة .. وبطاقات دم ولحم منثور . لا بأس لو زُيّن رأس الوزان المتشدّق بالدفاع عن الخصم، وهو الذي لفلف الفضيحة في عين الرمانة والصفرا ...»

الأحد 11 يوليو (تموز) 1982
اليوم الثامن والثلاثون للغزو والصمود والحصار
شهد هذا اليوم قصفاً عنيفاً مركزاً، استمر ثماني عشر ساعة متواصلة، شمل كافة أحياء بيروت الوطنية. أصيبت المئات من المباني السكنية والمرافق الطبية والاجتماعية، ومنها: دار الأيتام الإسلامية، ومستشفى المقاصد، ومستشفى البربر، ومستشفى بيروت، ومستشفى غزة، وقُدرت الخسائر البشرية بأكثر من (300) إصابة بين المدنيين، لذلك أشار الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، إلى أن الجيش الإسرائيلي، بأعماله الوحشية هذه، يعيد إلى الأذهان الصورة النازية القديمة التي دمرت قرية (أورادور) الفرنسية .

جملة معترضة لها موقع من الإعراب
ألا يذكّرنا هذا بنفس الوحشية التي يمارسها ويقوم بها الجيش الإسرائيلي منذ سبعة شهور، في قطاع غزة والضفة الغربية . انتهت الجملة المعترضة، ولم ينته القصف والتدمير الإسرائيليان .

شهيدة لبنانية .. من إذاعة الثورة الفلسطينية
وخلال هذا القصف الوحشي الشامل، انتقلت إذاعة الثورة الفلسطينية للمرة الثالثة إلى مكان جديد . كان البث وأعمال الهندسة، يتمان في ملجأ بناية، فاختار العاملون في الإذاعة شقة مجاورة، استعملوها لأعمال الكتابة والاستماع . وقدمت الإذاعة شهيدة من صفوف العاملين فيها، هي (نغم فارس) اللبنانية الجنوبية، التي عملت بحماس منقطع النظير، خاصة في خطوط القتال، تسجل اللقاءات والشهادات الميدانية مع المقاتلين، إلى أن اغتالتها قذيفة إسرائيلية .

الثلاثاء 13 يوليو 1982
تثميناً لموقف حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) السياسي والعسكري، شكّلنا وفداً من الكتاب والصحافيين الفلسطينيين والعرب، ضم: حنا مقبل، ورشاد أبو شاور، وأحمد أبو مطر، وعز الدين المناصرة، وعبد القادر ياسين، وياسين رفاعية، لزيارة مقر الحركة في كورنيش المزرعة . والتقى الوفد العاملين في الإذاعة، ورئيس مجلس القيادة في الحركة (إبراهيم قليلات)، ومكثنا في مكتبه حوالي نصف ساعة، استمعنا لوجهة نظره فيما يدور، وتبادلنا الحوار في الموقفين السياسي والعسكري، واشتكى للوفد من غموض موقف القيادة الفلسطينية بشأن الموقف السياسي والمفاوضات الجارية .
أثناء الزيارة، قابلنا العاملين في الإذاعة، ومنهم الشاعر شوقي بزيع، فحمّلنا مقالة لجريدة (المعركة)، نشرناها في العدد العشرين الصادر صباح الأربعاء 14 يوليو 1982، وكانت بعنوان: (إنها بيروت ..

وارثة مجد الحجر وفتنة الشمس) .. وهذا نصها:

«لمن كل هذه الفوضى والازدحام؟

لمن تُقرع هذه الطبول، وتتدافع كل هذه الجيوش؟

لمن هدير الطائرات وزمجرة النبادق، هدير المجنزرات وسقوط الحمام تحت أحذية الجلادين؟

لمن كل تلك الملفات الصفراء وعدسات المصورين؟ عمن يتحدث ذلك الأمريكي الذي يختبئ خلف نظارتيه موت لبناني الأصل؟

لمن تُحشد الأساطيل في عرض المتوسط، ويخبّئ البحر ألعابه وهداياه؟

لمن كل الأقمار الصناعية والغرف السوداء، كل مستحضرات القتل وصواعق التفجير؟

من هي التي تتصدّر صفحات الصحف الأولى، وتدفع الملايين للحصول على صورتها، وهي محاصرة بثياب نومها الدموي؟ إنها بيروت ...

بيروت المدوّره كقمر الصيف، الساخنة كخبز الفقراء، والطازجة كحزنهم اليومي .

إنها بيروت وارثة مجد الحجر وفتنة الشمس .. الفريدة بين النساء والعواصم . بقية الكرامات الباقية ودالية المتوسط الخضراء .

....

إنها بيروت . بنيناها بحجارة اقتطعت من الروح، وجبلنا اسمنتها بماء القلب وفلذة الأمل اليتيمة .

....

إنها بيروت التي انفضضتم من حولها حين لم تعد فندقاً للهوكم الفاجر، أو سوقاً يسيل أمامه لُعابكم الوقح، أو فراشاً تسندون إليه عجيزاتكم السمينة .

إنها بيروت التي تدافع عن خط الكرامة الأخير الذي لا تراجع عنه إلاّ إلى الهاوية، وبعدها لن تقوم لكم قائمة . سيطاردكم الذباب الذي يحوم حول جثث أبنائها إلى قلب مخادعكم . سيتجمع أنين قتلاها ليصم آذانكم بهديره العظيم، وستخرج أرواح شهدائها كالطيور الأبابيل لتفقأ عيونكم الفارغة .

أمّا نحن فسنجمع ما تبقى من الأبنية والعظام، وننصبها من جديد فوق شاطئ المتوسط، وستنهض من بين الركام بيروت أخرى، ننشر فوقها نجومنا وابتساماتنا إلى أبد الآبدين» .

تقليد جديد

مع استمرار القتال والصمود، بدأت تصل إلينا الرسالة اليومية لغرفة العمليات العسكرية المركزية، التي توجز الموقف العسكري والسياسي في الساعات الماضية . وأصبح تقليداً أن تقرأ الرسالة في بداية الاجتماع، ويكون النقاش منطلقاً منها ومن مستجدات الساعة . كما أصبح تحليل (المحرِّر السياسي) لليوم التالي منطلقاً منها ومنسجماً معها، وقد أضعف هذا لدينا القدرة على التحليل السياسي المستقل، ما أوقعنا أحياناً في بعض التحليلات والتقديرات غير المنسجمة مع تطورات الموقف السياسي والعسكري، وكان منطقها الوحيد أنها تلائم رسالة القيادة وتحليلها اليومي .

كاتب عن كاتب بيفرق

استمر القتال والحصار، القصف والتدمير، فبدأ عدد من الصحافيين والكتاب يتذمرون من الحرب، وتسرّب القلق واليأس إلى نفوسهم، وانقطعوا بالتالي عن حضور اجتماعات هيئة التحرير، والكتابة للجريدة لأنّ الحضور إلى مقر الاجتماع يقتضي أن تغامر بحياتك، وأنت تركض في الشوارع والأزقة، كما أنّ الكتابة عن الحرب والصمود، لا يتمكن منها الكاتب إن لم يكن مؤمناً بذلك .

دار النقاش طويلاً حول موقف هؤلاء الكتاب، بعد أنْ علمنا (والعلم عند الله) أنهم بدأوا يتجمعون في شقق بعضهم التي اعتقدوا أنها آمنة، ولاذوا للمهدئات والمنومات، كما سافر بعضهم خارج بيروت المحاصرة، وكان السفر في أحوال كثيرة متيسّراً عبر بيروت الشرقية التي تواجد فيها الجيش الإسرائيلي مع قوات الكتائب، في كافة الشوارع وعلى الحواجز، وكان الكثير من سائقي سيارات الأجرة قادرين على تنظيم رحلات بسياراتهم لمن يريد الخروج آمناً، بمبالغ مالية كبيرة، يقتسمونها مع حواجز الكتائب والإسرائيليين. تبلور النقاش حول هذه الظاهرة في فكرتين:

الأولى ترى أن طبائع البشر مختلفة، وقدراتهم على تحمل المصاعب والأخطار في زمن الحرب متنوعة، وأنّ الخوف والانهيار يسريان بالعدوى، لذلك فإن خروجهم خارج الحصار أفضل من بقائهم داخل بيروت، دون جهد أو كلمة مفيدة .

والثانية ترى أن هذا الموقف تخاذل واضح، لا يليق بالكتاب الملتزمين الذين ينبغي أن يكونوا طليعة شعبهم في مثل هذه المحن والأزمات.

إذ كيف يمكن أن نطالب المقاتل بالصمود والتصدي للغزاة حين يهرب الكاتب من المواجهة، الذي هو غالباً في مواقع وأماكن أكثر أمناً وسلامة من المحاور الأمامية وقواطع القتال، حيث يصمد المقاتلون، خاصة عندما يتعلق الموقف بالكتاب الذين أشبعونا، حتى التخمة وقت الراحة والاسترخاء، تنظيرات عن دور الكاتب والمثقف في قيادة الجماهير .

كانت الغالبية في اجتماع هيئة التحرير والكتاب المساهمين في جريدة (المعركة) أنه لا بد من الكتابة عن هذه الظاهرة ضمن أفق الفكرة الثانية، لذلك شهدت صفحات الجريدة حملة عنيفة ضد هؤلاء الكتاب، دون ذكر أسماء .. وقد افتتح هذه الحملة (بهلول)، بكلمة نُشرت في الصفحة الثالثة من العدد (الواحد والعشرين) الصادر صباح الخميس 15 يوليو 1982، بعنوان: «الدكتور فاليوم والمستر ليبريوم»، جاء فيها:

«والدكتور فاليوم هو أحد كُتّابنا، أو أحد صحافيينا، فأنا لا أعرف الفرق بين الكاتب والصحافي لأنني لست مثقفاً، لكنني لحسن الحظ أو لسوئه وقعت على اسمه في صحيفة ما في زمن ما أكثر من مرة . وقرأت له ولم أفهمه . ولمّا كنت مثلي مثل غيري من عباد الله الجهلاء، فإنني كتمت على نفسي، وحوقلت، وبسملت، وأعلنت أنني لا أفهمه، خشية أن يتهمني المثقفون بعدم الفهم، أو بعدم الثقافة، والعياذ بالله .

أما المستر ليبريوم فهو أحديشي، لا أعلم حقيقة ما هو . لكنه موجود في كل مكان، وكل مكان موجود فيه، يعلم كل شي ولا يعلم شيئاً . يأتيك من خلفك، ولكنه لا يأتيك من قُدام، صفاته، أبعد الله عنّا شرّ الصفات،

يقولون كثيرة، لكنها كلها صفات باهتة، والعياذ بالله، أيضاً .
اجتمع الدكتور فاليوم والمستر ليبريوم في أحد الأركان، وتسامرا، وتنادرا، وتعاقرا. وهات يا غيبة في خلق الله . سقطت قذيفة في الليلكي، وحيث ليس هناك بين الليلكي ومشارف الحمرا مسافة كبيرة، فقد أصاخا السمع، وأنقذ الله من بين أفواهما المستغاب. سقطت قذيفة أخرى في حي السُلم، وثالثة في الرملة البيضاء، فسقط السمع عند أقدامهما .
قال الدكتور فاليوم: إنهم يهجمون .
قال المستر ليبريوم: لا يا رجل، هذا قصف طالع .
قال فاليوم: (آسف لقطع الألقاب) بل قصف نازل .
قال ليبريوم: اسمع جيداً إنه طالع .
قال فاليوم: طالع، نازل، مش مهم، يلعن ... متى ينتهون ؟
وأخذ قرص فاليوم، ونظر إلى ليبريوم الذي بارتجاف أخذ قرص ليبريوم . ونظر كل منهما نحو الآخر إلى زجاجتي الفاليوم والليبريوم الفارغتين .
قال ليبريوم: «لو بسّ يفتحوا المتحف لساعتين» .
قال فاليوم: لو الصليب الأحمر يتدخل .
وقال الراوي: سنقدم نحن عباد الله المقاتلين البسطاء نداءً عاجلاً للصليب الأحمر من أجل زجاجتين: واحدة فاليوم والأخرى ليبريوم، ونستميحهما العذر بزجاجة دم للطفل الذي ولدته شهيدة قبل يومين«
.
واعتباراً من العدد المذكور، أصبح (بهلول) عموداً يومياً، يكتبه الزميل زياد عبد الفتاح، رئيس تحرير جريدة (المعركة)، ومدير وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)، الذي عمل بجهد خارق، كي يؤمن كافة احتياجات الجريدة، وسط تلك الظروف الصعبة، ما أهّلها للاستمرار في الصدور، هذا بالإضافة لكتابته شبه اليومية في الجريدة، أو اقتراحه أفكاراً للكتابة والتعليقات، يتناولها زملاء من كتّاب الجريدة ومعلقيها. وضمن نفسها الحملة، نُشرت عدة مقالات وتعليقات، فظهر في العدد (الثاني والعشرين) الصادر صباح الجمعة 16 يوليو / تموز 1982 مقالتان: الأولى على الصفحة الرابعة بعنوان: (فلنحذر تبرير المثقفين والبطولات الزائفة) لعدلي فخري، والثانية عمود (بهلول) على الصفحة الثالثة بعنوان: (كُتّاب خارج القصف)، ومن الأعداد القادمة كُتب الكثير من المقالات حول الموضوع ذاته .

قصف .. وتفجيرات .. وحفلة فنيّة

الأحد 18 يوليو 1982، دخلت الحرب والغزو والحصار، النصف الثاني من الشهر الثاني، فاليوم هو الخامس والأربعون للغزو والحصار والصمود، لذلك دعت خلية للحزب الشيوعي العراقي إلى حفلة فنية في قاعدة تدريب تابعة للحزب في (كراكاس) في السابعة مساءً .
احتشد ما يزيد على مائتين من المواطنين والمقاتلين والكتاب، لحضور تلك الحفلة الفنية الوطنية، التي اشترك في تقديمها الفنان المصري عدلي فخري والفنان اللبناني خالد الهبر، قدّما خلالها عدداً من

الأغنيات، منها أغنية (العشق المحارب) من كلمات زين العابدين فؤاد، وألحان وغناء عدلي فخري، وقد راجت أثناء الحصار، وشاع غناؤها على ألسنة المحاصرين، وتقول كلماتها:

«في كل يوم حصار
وفي كل يوم غِنا
همَّ بدوا الدمار
وإحنا نِبدى البُنا

*   *   *

إحنا العشاق صبابة
للوردة والربابة
ولطفلة حبّة حبّة
تتعلم الكتابة

*   *   *

إحنا العشق المحارب
إحنا العشق العفي
نقطف ورد الكواكب
لو شمعة تنطفي

*   *   *

إحنا شمس الأماكن
إحنا الزمن إللي جَيْ
إحنا الريح والسِفاين
إحنا الوردة أم ضَيْ

*   *   *

إحنا الورد إللي يطرح

شوكة في قلب الحصار
ويفوح في أي مطرح
ينشر راية النهار» .

كان منظراً يوحي بالأمل والمزيد من الصمود: مدينة محاصرة، مقطوع عنها الماء والكهرباء والمواد التموينية، وتمارس حياتها كاملة، فبدلاً من أن يُسيطر عليها الحصار ويشلّ حركتها وإرادتها، استوعبت هي الحصار، وأقلمت حياتها ضمن ظروفه ومقتضياته . لم تشهد بيروت الوطنية تآلفاً ومحبة كما عاشت أثناء الحصار . اقتسم المواطنون لقمة الخبز، وتوزعوا قطرات الماء والشموع، واستمرت الحياة رغم الصعوبات، تتحدى الغزاة، وها هي تقيم الحفلات الفنية، أيضاً، تغني للصمود والنصر والناس الذين عشقوا الحرب، لأنهم يعشقون الحياة .

اليوبيل الفضي

عندما قرّرنا إصدار جريدة (المعركة)، كان الرهان على أننا وسط هذا القصف والدمار، وشحّية الإمكانات، من الممكن أن نصدر خمسة أعداد .. وفي أحسن الأحوال عشرة، لذلك كانت فرصتنا عظيمة، عندما استمرت الجريدة في الصدور، رغم قسوة الحرب وظروفها، ولم نكتف بصدورها فقط، ولكننا كنا حريصين على تطويرها في الشكل والمضمون . كنا نحرص على أن نقدم للمواطنين والمقاتلين الصامدين أفضل ما نستطيع من كتابات وأشعار وتحليلات وشهادات ميدانية ورسومات كاريكاتير .

كانت فرصتنا الأولى في أن نجرّب أنفسنا في ظروف تستدعي منا أن نكون في مستوى لحظة تاريخية . كانت لحظة نوعية، نفضنا عن أنفسنا تراب الكسل والترهّل، وطردنا الخوف من عقولنا .

كنا لا نجرؤ قبل الغزو أن نتأخر ليلاً في أماكن بعيدة عن مناطق سكننا، خوفاً من السيارات المفخّخة والحواجز الطيّارة . بعد انتهاء الغزو والحصار، والآن، لا أتخيّل كيف كنت والكثير من الزملاء نسهر في المطبعة حتى الرابعة فجراً وما أن نطمئن على انتهاء طباعة العدد، تتوزّعنا شوارع العاصمة المحاصرة، نسير على الأقدام إلى أماكن سكننا، غير آبهين برصاصة طائشته، أو حاجز طيّار . لا أبالغ عند التأكيد على أنّنا تصرفنا في الحرب ووسط الحصار بشجاعة وصدق لم نعرفهما في زمن الاسترخاء والراحة .. وتعبيراً عن فرحتنا بصدور العدد الخامس والعشرين من الجريدة، صباح الأثنين 19 يوليو 1982، كتبت مقالة قصيرة، في الصفحة الرابعة، بعنوان: (اليوبيل الفضي)، ومما كتبته فيها:

«نحتفل اليوم مع صدور هذا العدد من (المعركة) باليوبيل الفضي لصدورها .. إنّ وصولنا إلى هذا العدد يستحق الاحتفال فعلاً، خاصة لأنّها صدرت وسط معاناة الحرب والقصف وضعف الإمكانات . إلا أن إيماننا بأن يكون للمثقفين الديمقراطيين الحضور الفاعل في هذه الحرب جعلنا

نُصرّ على إصدارها، ورفدها بكل الطاقات .
إنّ المقاومة بالكلمة، والصحيفة، والنشرة، نمط نضالي مارسه كل كتّاب الشعوب التي تعرضت للغزو والاحتلال . لذلك نشعر الآن بالحدّ الأدنى من الرضى عن النفس، لأنّ الكتاب الذين تحمّسوا لإصدارها لم يستسلموا لكل الإحباطات، ولم يسمعوا كلام غير المتحمسين لها ... في المستقبل، سوف تظلّ هذه الجريدة / النشرة، على تواضعها، من الأمور التي تضاف إلى صيدنا ككتاب وضعوا أنفسهم من خلالها في خضّم المعركة الساخنة، وإني على ثقة من أن المستقبل سيحمل الندم لكل الكتاب الذين لم يكن لهم ارتباط عملي بجرائد ونشرات أخرى، وامتنعوا عن الإسهام فيها أو في غيرها من صحف ونشرات المقاومة»، (التي سنأتي على ذكرها لاحقاً ...) .

سلاح الكاريكاتير
إنضم إلى المساهمين في الجريدة الفنان العراقي حسيب الجاسم، وبدأ يسهم فيها برسوماته الكاريكاتيرية، إضافة إلى مساهمته في إخراج الجريدة، وكان يتمتع بحسّ فني مرهف، تمكن من التقاط خصوصيات المعركة والحصار، فحوّلها إلى رسومات معبّرة، ولوحات عبّرت عن قدرته في تطويع اللوحة، لتكون في مستوى اللحظة التاريخية .
كانت لوحاته مقالات سياسية، لذلك عمدنا في الأيام الأخيرة، إلى أن نخصص للوحة الصفحة الرابعة كاملة . كانت أوّل رسوماته صباح عيد الفطر، على الصفحة الرابعة من العدد (السابع والعشرين) الصادر صباح الأربعاء 21 يوليو 1982 .

ناجي العلي
كان الفنان الفلسطيني ناجي العلي، منذ بداية الغزو الإسرائيلي في مدينة صيدا، حيث دهمه الاجتياح ، فلم يتمكن من الوصول أو العودة إلى مقر عمله في بيروت . كنا قلقين عليه، ونسأل عنه كل من يصل من الجنوب . وبعد شهر ونصف تقريباً، تمكّن من العودة إلى بيروت سالماً، لينضم مباشرة إلى الجبهة الثقافية المتصدية للعدو وغزوه وحصاره .
قضينا معه ساعات طويلة، يقصُّ لنا ويحكي عن الجنوب ومعارك مخيم عين الحلوة، وبطولات أطفال المخيم، الذين أطلق عليهم العدو الإسرائيلي اسم (أطفال ألـ آر . بي . جي) .
وعن مخيم عين الحلوة، كانت أولى رسومات ناجي العلي، على الصفحة الرابعة من العدد (30) الصادر صباح السبت 24 يوليو / تموز 1982.
واستمرت اسرة تحرير الجريدة تكبر، فانضم إليها الفنان السوري عماد حليم، يسهم في الخطوط والإخراج والتحرير، ثم بدأ يخرج ويخطط جريدة (العودة) .

صحافة الحصار
لم تكن جريدة (المعركة) وحدها في الجبهة الثقافية المتصدية للغزو والحصار، فقد استنفر الغزو الظالم كل الطاقات في الميادين كافة، فشهدت الساحة الوطنية في بيروت الكثير من الصحف والنشرات، كان منها:

العودة
كانت (العودة)، قبل الغزو الإسرائيلي، جريدة نصف شهرية، تنطق بلسان القيادة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين – إقليم لبنان، وكانت تصدر في عشر صفحات تقريباً من الحجم المتوسط . وفي بداية الغزو الإسرائيلي، بدأت (العودة) في التاسع من يونيو (حزيران) 1982، تصدر نشرة يومية من صفحتين، وجعلت شعارها على الزاوية اليسرى من الصفحة الأولى: (بيروت .. مقبرة الغزاة) . وقد التف معها وحولها العديد من الكتاب والصحافيين منهم: علي حسين خلف، غسان زقطان، عبد الهادي الشروف، أمجد ناصر، ميشيل النمري، غالب هلسا، حازم إبراهيم، محمد لافي، سامر عبد الله، زكريا محمد .. وآخرون . وتطورت الجريدة / النشرة، فأصبحت تصدر في أربع صفحات، وتبلورت شخصيتها بشكل واضح كالتالي:
– الصفحة الأولى: للمحرر السياسي و«كلمة العودة»، وبعض الأخبار القصيرة .
– الصفحة الثانية: شهادات ميدانية، وتعريف بأنواع الأسلحة .
– الصفحة الثالثة: متفرّقات من بينها زاوية «إسرائيليات»، وعمود يومي بعنوان »يوم بيوم« باللهجة العامية لسامر عبد الله .
– الصفحة الرابعة: للوجدانيات، وأحياناً زاوية يومية بعنوان (وجوه في الممر) لعلي حسين خلف .
كما نشرت العديد من الأشعار، منها قصائد للشاعر غسان زقطان، ومع صدورها في أربع صفحات، قام بإخراجها وكتابة خطوطها الفنان السوري عماد حليم، وأشرف عليها عبد الهادي الشروف . (وفي النماذج الشعرية اللاحقة، سترد نصوص مما نُشر فيها) .

«رصيف 1981».. وعلي فودة
«رصيف 81» مجلة دورية أصدرها الشاعر علي فودة، اهتمت بنشر الكتابات الجديدة في الشعر والقصة للكتاب الشباب، الذين يعتقدون أنّ هناك هيمنة في المجلات الثقافية للأسماء الكبيرة المشهورة بحيث تشكل (مافيا ثقافية)، لا تسمح بظهور الكتابات الشابة . وزعمت المجلة أنها ستكون منبراً للديمقراطية، ففتحت صفحاتها لكل نوع من الكتابة، مهما كان موضوعه وأسلوبه ومفرداته، وطلعت على القراء بصرعات اختلف القراء والكتاب حول الموقف منها، كالقصيدة المغناطيسية والقصيدة المائية ... الخ، وأكثرت من الهجوم على ما أسمته (المؤسسات) بدعوى انفصال كتابها عن أية مؤسسة، لأنّ المؤسسة عندهم تعني القمع والقهر، وقد قوبلت المجلة بمقاطعة الأسماء المعروفة في الساحة الأدبية، حتى الشابة منها . ومن ناحية ثانية رحب بها العديد في بيروت وعواصم عربية أخرى، إلاّ أنّ هذا لم يثبت وجودها

في الساحة الأدبية، خاصة بعد المشاكل وتبادل الاتهامات بين كتابها، وادعاء بعضهم أن رموزاً سياسية تطاردهم، وادعاء البعض الآخر ضد بعض زملائهم في المجلة أنهم يعملون لحساب قيادات سياسية، كذلك نفر الكثيرون من أسلوبها المليء بالشتائم والألفاظ النابية .
وفي بداية الغزو الإسرائيلي، توقفت مجلة «رصيف 81» عن الصدور، وحمل علي فودة السلاح فعلاً خلف المتاريس في بيروت المحاصرة . وفي العاشر من يوليو 1982، استأنف إصدار «رصيف 81» نشرة يومية من أربع صفحات، وقد اتخذت لنفسها شعارين: الأول على يمين الصفحة الأولى، وهو أبيات شعر الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود المعروفة:

«سأحمل روحي على راحتي

وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق

وإما ممات يغيظ العدى»

والشعار الثاني على يسار الصفحة الأولى، وهو أبيات شعر الشاعر التركي ناظم حكمت التي يقول فيها:

«إن لم أحترق أنا

وتحترق أنت

فكيف تبزغ حبة الضوء

من وسط الظلمات؟»

واستمرت «رصيف 81» من الصدور نشرة يومية، حتى بدأ انسحاب المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، ومنذ بداية صدورها اتخذت لنفسها خطاً مختلفاً عن كل صحف وجرائد المعركة والحصار، فقد كانت امتداداً لحظها السابق، ولكن بما يلائم ظروف الغزو والحصار والمعركة .
وقد اعتمدت على التعليقات السريعة اللاذعة، والشتائم العلنية الصريحة، وقد استقرت صفحاتها على الشكل التالي:
– الصفحة الأولى: زاوية على اليمين بعنوان «نقطة دم»، وتحتها زاوية بعنوان «تعليقات سريعة»، والعمود الأيسر لـ «كلمة الرصيف» .
– الصفحة الثانية: تحقيق ميداني أو شهادة مع مقاتل أو استطلاع لخدمات مدنية ميدانية .
– الصفحة الثالثة: متفرقات وأشعار .
– الصفحة الرابعة: الجزء الأعلى «صورة وتعليق»، وهي صورة فوتوغرافية للقطة إنسانية وتعليق عليها، وفي أسفل الصفحة زاوية يومية ثابتة بعنوان «دفتر الفاشية»، وتعليقات حادة بعنوان «عيب

جداً» .
ولاختلاف نمط «رصيف 81» عن كل صحف ونشرات وجرائد الحصار، أورد نماذج منها:

نقطة دم

أنا كتائبي

في المنطقة الشرقية (من بيروت) كان أحد الكتائبيين يقف أمام بيته، جاءت دبابة صهيونية وفيها من الجنود والضباط الإسرائيليين، نادى عليه أحدهم وسأله: لماذا تقف هنا؟ فردّ عليه: أنا كتائبي، هذا بيتي وهذه أرضي، ماذا تريد؟
انهال عليه الجنود الإسرائيليون بالضرب المبرح . شتمه أحدهم: حمار، كلب، جاسوس . ادخلوا بيوتكم.
– حُبّ إيه إللي جاي تقول عليه .
اشتبه أحد أفراد القوات المشتركة بجندي إسرائيلي، يتخفّى بزي مدني . وكان يحاول العبور في «الغربية» فاقترب منه وراح يتحدث إليه . وبعد دقائق نسي الإسرائيلي الذي يتقن العربية حرف «الحاء» فنطقه «خاء»، وذلك حينما لفظ كلمة (حب) (خب)، فافتضح سره، وانكشف أمره، وتمت مصادرته على الفور .

مهمة قذرة

روى أحد المساجين الذين اعتقلوا فترة بسيطة، ثم أطلق الإسرائيليون سراحهم بعد أن تثبت أن لا علاقة لهم إطلاقاً بالمخربين، قال: طلبوا مني التعاون معهم . قال له أحد الحاضرين: كيف؟ قال: طلبوا مني أن أذهب إلى بيروت الغربية، وأعود منها بتصريح يومي على أن أقدم لهم بعض الخدمات الصغيرة . فردّ عليه: أي نوع من الخدمات؟
– التفجير .
– وهل قبلت ؟
– فردّ غاضباً: أفجر رأسي قبل أن أقبل بمهمة قذرة كهذه .
«رصيف 81» العدد (12)، ص1، 22 يوليو (تموز) 1982 .

تعليقات سريعة

قالوا: تظاهر مائة ألف شخص في الكويت ضد الغزو الصهيوني، وطالبوا بقطع العلاقات مع أمريكا .
قلنا: بعدما انكويت تظاهرت الكويت .
قالوا: جرت تظاهرة فلسطينية أمام البيت الأبيض .
قلنا: ليؤكدوا أنه البيت الأسود .
قالوا: أعلن 70 يهودياً الإضراب عن الطعام استنكاراً للغزو الصهيوني واستمراره .
قلنا: عندهم دم .

«رصيف 81»، العدد (29)، ص1، 10 أغسطس (آب) 1982

بلسم

كانت في الأصل، مجلة شهرية طبية اجتماعية، تصدرها جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وأثناء الحصار صدرت نشرة يومية مسحوبة على «الاستانسل» . استمرت في الصدور من 15 يونيو / حزيران حتى 22 أغسطس (آب) 1982، حيث صدر منها 64 عدداً .

كانت هيئة تحريرها تتكون من: عبد الرحمن بسيسو، وعمر سعادة، ومحمد زيد . كان لـ (بلسم) دور مميز، حيث تولت نشر المعلومات الخاصة بالدفاع المدني، وإرشاد السكان لمعرفة كيفية التصرف في حالات القصف والغارات وأسلوب اسعاف الجرحى، ومعلومات عن الأمراض والأدوية والمبيدات، وتشخيص الحالات المرضية الطارئة .

واهتمت بتوعية المواطنين في الحصار ضد الحرب النفسية التي يشنها الغزاة الإسرائيليون والمتعاونون معهم داخل لبنان، كما قدمت العديد من اللقاءات الميدانية مع المرضى والجرحى، ولأهمية معلومات (بلسم) ونوعيتها المميزة، كانت الصحف اليومية المعروفة «كالسفير» و«النهار» والنداء، تنقل عنها العديد من موادها، ورغم تخصصها المميز، لم تهمل (بلسم) الكتابات الوجدانية والشعرية .

الهدف

كانت المجلة الأسبوعية الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وصدرت أثناء الغزو والحصار نشرة يومية في أربع صفحات .

المتراس

نشرة غير منتظمة، مطبوعة على الآلة الكاتبة ومسحوبة بطريقة الاستانسل . صدر منها عشرة أعداد تقريباً أصدرها الإعلام الجماهيري لمنطقة بيروت في حركة فتح . واشرف عليها جابر سليمان وجمال عبود، اهتمت بالنواحي العسكرية التي تفيد المقاتل، وقدمت نماذج من تجارب الشعوب في حرب العصابات وحرب المدن .

فلسطين الثورة

الجريدة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، كانت تصدر قبل الحرب جريدة يومية، ويتوقف العدد اليومي يوم الخميس لتصدر مجلة أُسبوعية .

أثناء الحصار توقف العدد الأسبوعي يوم الخميس، واستمر صدورها جريدة يومية حتى خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت . وكانت تهتم بالجانب الإخباري والتحليل السياسي . ويمكن اعتبار افتتاحيتها اليومية التي كان يكتبها رئيس تحريرها أحمد عبد الرحمن، تعبر عن وجهة نظر القيادة الفلسطينية في مجريات المعركة عسكرياً وسياسياً .

كذلك لا يمكن إغفال الدور الذي قامت به الصحف اليومية الوطنية، «السفير» و«اللواء» و«النداء»، وقد

تميزت «النداء» بإفرادها صفحات خاصة للأقلام التي تكتب عن الحرب والحصار، فاستقطبت العديد من الأقلام .

«المعركة» تواصل الصدور والتصدي

استمرت جريدة «المعركة» في الصدور اليومي المنتظم، نشرة يحررها الكتاب والصحافيون اللبنانيون والفلسطينيون والعرب في لبنان، فأصبحت أهم ظاهرة إعلامية في المدينة المحاصرة، إذ استقطبت حولها غالبية الكتاب والصحافيين والفنانين، وأحسّوا فعلاً أنها منبرهم الديمقراطي الحرّ، بلا قيود ولا رقابة .

كنا نناقش في الاجتماع اليومي مواد العدد الذي ظهر في الصباح، ونبدي عليه ملاحظاتنا شكلاً ومضموناً، ثمّ نجري حواراً حول موضوعات العدد القادم، والتكليفات المتعلقة بمواده .

كان جمع المواد والتقارير العسكرية، والتعليقات يستمر حتى السابعة مساء، ثمّ يبدأ العمل الليلي، الذي يستمر حتى ساعات الصباح. كنا ننتقل أحياناً في الليلة الواحدة إلى أكثر من مكان، وأحياناً إلى أكثر من مطبعة، حسب الظروف الأمنية، وأحوال القصف والغارات .

سافر مخرج الجريدة عبد المنعم القصاص إلى دمشق، فتولى مسؤولية الإخراج صلاح إبراهيم، يساعده أحياناً عماد حليم، وواصلت أنا مهمتي وهي التنسيق العام كسكرتير تحرير للجريدة. وللإسراع في العمل الليلي، استعنا بهيثم العاملي لمعاونة عدلي بروح جماعية رفاقية، يندر وجودها في الزمن العادي. في منتصف الليل، يشعر الشباب في المطبعة بالجوع، فنخرج وسط الظلام الدامس، نبحث عمّا يؤكل، فلا نجد إلا مخبزاً تابعاً للمقاومة الفلسطينية، ويوّزع الخبز مجاناً، فنعود ببعض الأرغفة، نتقاسمها، ونأكلها ساخنة قبل أن تجفّ .

خدمات ميدانية جديدة

ومع استمرار القتال والحصار، تواصلت محاولات الإسرائيليين التقدم نحو بيروت الوطنية، حسب سياستهم المعتمدة على قضم المدينة مربعاً مربعاً، فوجدنا أنه من الضروري تقديم خدمات ميدانية للمواطنين والمقاتلين، فاستحدثنا زاوية (حرب المدن) على الصفحة الثالثة، كلّفنا بعض العسكريين بكتابتها. ونشرنا الحلقة الأولى منها في العدد التاسع والعشرين الصادر صباح 23 يوليو 1982 .

كانت خبراتنا تتّطور في ميادين الإعلام التعبوي المقاتل. أصبحنا نتفاعل مع الحدث، ولدينا القدرة على استيعابه مهما كانت خطورته، فتطّورت الشهادات الميدانية الحية التي كنّا نسجلها مع المقاتلين والمرابطين في الخطوط اليومية وحواجز القتال، وشارك عدد من الزملاء في إعداد الشهادات الميدانية

ولقاء المقاتلين في أماكن مرابطتهم وصمودهم، ومنهم: شعيب ملحم، سليمان شفيق، محمد هويدي، ياسين رفاعية، محمد زيد، عبد القادر ياسين، أحمد أبو مطر، ثمّ تسلم مسؤولية الشهادات الميدانية محمود قدري، فأجرى وقدم مالا يقل عن عشرين شهادة من ميادين القتال ومحاورة المختلفة .

و.. وصل عبدالله الطوخي

كان مؤثراً أن يخترق الحصار القاص المصري عبدالله الطوخي، ويجيء إلينا في بيروت المحاصرة، معلناً في خطوة اقتحامية شجاعة عن تضامن الكتاب والمثقفين المصريين مع الثورة الفلسطينية، والحركة الوطنية اللبنانية. عاش معنا أياماً قاسية، عانى فيها انقطاع الماء والكهرباء، وشاهد القصف والدمار، وركض إلى الملاجئ، وأدرك صعوبة الحياة التي نعيشها في الحصار. كان وصوله إلينا ومشاركته لنا وضعنا الصعب، يعني أن الأمة العربية تختزن من بذور الخير الكثير، ومن عناصر الوفاء ما يستحق أن يُثمّن... لذلك رحب به (بهلول) –زياد عبد الفتاح– في عموده اليومي، في العدد (38) الصادر صباح الأحد 1 أغسطس(آب) 1982، ومما قاله (بهلول) :

«عبدالله الطوخي الكاتب الصحافي المصري جاء إلى بيروت، يوم أمس، كي يرى ويسمع ويتعرف على ما يجري. وعبدالله الطوخي وصل يوم أمس الساعة الحادية عشرة، كان الهدوء واضحاً ومخيماً، والناس في الشوارع يتدبّرون قوت يومهم، ويقومون بتأمين الماء قبل أن تدهمهم الظلمة ويدهمهم القصف. والطوخي يريد أن يعيش الحالة بوعيه، لذا لم يكن مستعجلاً. نزل عند صديق له، وشاء أن يأخذ قسطاً من الراحة من عناء السفر بين الحواجز الإسرائيلية والكتائبية. وبيما هو يمارس راحة الوعي أو وعي الراحة، ويناقش على مهل مع صديقه عدداً من التفاصيل، تضع أصابعه على المفاتيح الضرورية للتعرف على الأجواء، انفتحت بوابات الجحيم قذائف وصواريخ من البحر، أعقبتها غارات الطائرات الأمريكية الإسرائيلية، فالقصف المجنون المحموم من البر والبحر والجو، من البوارج والدبابات والمدافع وراجمات الصواريخ .

....

أهلاً بك.. وسنحاول ما في وسعنا أن نؤمن لك ماء للشرب ولحلاقة منعشة، واعذرنا حيث لا نستطيع أن نؤمن لك ماء لتستحم!» .

عبدالله الطوخي.. يكتب

وقبل سفره وعودته إلى مصر، كتب عبدالله الطوخي، في العدد (الخامس والأربعين) من جريدة (المعركة) الصادر صباح الثلاثاء من سبتمبر (أيلول) 1982، مقالة بعنوان (احتراق كامب ديفيد)، ومما جاء فيها:

«الآن وقد رأيت بعيني ما رأيت، وعشت جنون المجزرة التي أقاموها في بيروت الغربية، وعشت، أيضاً، مجد ملحمة الصمود والمقاومة العربية. الآن وأنا في قلب مدينة الخرائب والأشباح، مدينة القتلى والجرحى والمشوّهين، مدينة الموتى والشهداء، مدينة الأطفال الذين يتضورون من آلام الجوع والعطش...

الآن أقول لكم أخطر ما رأيت.. لقد رأيت مع ألسنة نيران الحرائق معاهدة «كامب ديفيد» وهي تحترق، وتتحول إلى رماد ينفضه الناس عن أنفسهم، كما ينفضون الرجس والعار ....» .

فارس غلوب.. باشا

من يصدِّق.. فارس غلوب في بيروت وسط الحصار. من يتخيّل أن هذا الـ(فارس) هو ابن الجنرال المشهور غلوب باشا؛ المعروف عندنا في فلسطين والأردن بلقبه (أبو حنيك)، الضابط الإنجليزي الذي كان قائداً للجيش الأردني حتى العام 1956 . فارس غلوب، يتكلم ويتحدث ويكتب اللغتين العربية والإنجليزية بعمق وطلاقة، ويكتب (شعراً صافياً) باللغة العربية كذلك! فارس غلوب، كان وسط الحصار ظاهرة مميزة: رجل أشقر اللون، نحيف الجسم، مُدبب اللحية، لا يهتم بملابسه، ويعمل مع المقاومة الفلسطينية منذ أكثر من عشر سنوات، وجاء معها إلى بيروت، حيث عمل في صحافتها وعلاقاتها الخارجية .

اندلعت الحرب، ووصل الغزاة إلى مشارف بيروت، وإذا (فارس) فيه كل شهامة الفرسان العرب . لا خوف ولا جبن ولا تخاذل . يركب دراجته الناريّة، معتمراً خوذة حديدية، وعلى ظهره سلاحه، يطوف الشوارع والحارات ليلاً ونهاراً. يوزع الصحف والجرائد على محاور القتال والمتاريس . يبرق التلكسات. يترجم البرقيات ويكتب لصحف الحصار . كنت عندما ألتقيه في الزوايا والحارات، يوقف دراجته الناريّة، يُسلّم ونتحدث، فأتعمّد إثارته بقولي: آه يا فارس .. كل مصائبنا الحالية منكم؛ من الإنجليز . يثور فارس ملوّحاً بالكلاشينكوف قائلاً: رفيق، لا أسمح لك بذلك، أنا لست انجليزياً، أنا فلسطيني من أصل إيرلندي، وأنا من أكرمكم وأكثركم قرباً من قلب فلسطين، فأنا مولود في القدس، من منكم وُلد في القدس . يكتب فارس في تاريخ الحركة الصهيونية، والموقف السياسي، والشعر الوجداني الرقيق، تشعر من كتاباته أنه فلسطيني المنشأ واللحم والدم والانتماء . كتب في العدد الثامن والعشرين الصادر صباح الخميس 22 يوليو (تموز) 1982، عن (الاستشهاد)، حيث يقول:

«لن يلمس الفجر وجوهنا عبر القضبان بعد اليوم
لن نسمع الريح التي لم يكبلها الطغاة
والآن تأتي لحظة الموت، وبعدها الخلود
ونغمض أعيننا عند خروجنا من الظلام .

* * *

سنلقي قمصاننا في نور الفجر
لأنّ أجسادنا ليست إلا قمصاناً . ولن نموت
وستدوي أصواتنا إلى الأبد في أجواء الصحراء
ولن ننام تحت تراب أرضنا الحبيبة

وبينما نسير إلى فجرنا، لا نريد دموعاً
بل على سيوفكم ألا تتردد عن السبيل الذي تختاره
لا تشفقوا علينا، لأننا لا نخشى
ونقدم آلامنا من أجل إنجاب النهار .

* * *

إنها فلسطين التي ينتمي إليها الباحثون عن الحق والعدالة، مهما كانت أصولهم!!؟؟

الأحد 1 أغسطس 1982
اليوم التاسع والخمسون للحرب والحصار
هذا اليوم كان وحشياً لا يمكن وصفه . إنّه الجحيم . إنّه الموت في كل شبر من بيروت الوطنية . بدأت في السادسة صباحاً الطائرات الإسرائيلية تقصف كافة المناطق بعنف ووحشية يندر مثيلها، وفي الوقت ذاته تقصف المدفعية الثقيلة من البرّ والبوارج الحربية من البحر .. تماماً من السادسة صباحاً حتى السابعة مساءً، كل آلات الحرب والدمار، تصب حممها النابالمية والعنقودية والانشطارية والفراغية . لم يسلم مربع من المدينة . جمدت الحياة تماماً، ورغم ذلك كان مقاتلو القوات المشتركة يردون بعنف وضراوة .
كان الإسرائيليون الغزاة يحاولون التمدد تحت القصف، لتضييق الخناق والحصار، لكن دون فائدة، لقد قدّر خبير عسكري مجموع ما سقط على بيروت من قذائف وصواريخ في هذا اليوم فقط، بمائة وثمانين ألف قذيفة من كافة الأنواع ومختلف الأحجام . وأكد أنّ كثافة النيران هذه، لم تشهدها معارك من قبل . لقد تحولت أجزاء كبيرة من بيروت إلى خرائب، وشاع الدمار في كل مكان، واندلعت الحرائق العنيفة في المباني والمخازن والمؤسسات، وعشنا يوماً رهيباً، كان الموت هو بطله الوحيد الذي يتجول في الشوارع والحارات، لكن صمود المواطنين والمقاتلين كان هو سيد الموقف .
لم نتمكن في هذا اليوم من التحرك، وكان من الضروري صدور جريدة (المعركة) . إنّه التشبث بالحياة، نمارسه طريقة للتحدي، تمكنت ظهراً من الوصول إلى بناية الصليب الأحمر الدولي، اعتقاداً مني أنها أكثر أمناً، فحجزني القصف ساعتين في ملجئها . وفي الخامسة مساءً، تمكنت من جمع التقارير العسكرية والتعليقات، وكنت في المطبعة الثامنة مساءً، فلم أجد أحداً من العمال والفنيين، وبدأت مع بعض الزملاء الذين وصلوا إلى المكان، البحث عنهم، وتمّ جمعهم، ورغم كل الصعوبات، صدر في صباح الاثنين/ الثاني من أغسطس 1982، العدد (39) من جريدة (المعركة)، وكانت الافتتاحية التي كتبها زياد عبد الفتاح، بعنوان: (الفاشيون يشوّهون وجه بيروت الجميلة) . وكتب سميح سمارة، مقالة دامعة في الصفحة الرابعة بعنوان: (سارة .. سارة أو الموت) .

مقاتلو (وفا) في الشارع الأخير

لا يستطيع من عاش أهوال الحرب ودمارها، إلاّ أن يقف بإعجاب واحترام، أمام هذه الكتيبة الشجاعة من محرري (وفا) – وكالة الأنباء الفلسطينية – لقد أُخليت منطقة الجامعة العربية كلها، فيما عدا المتاريس والمقاتلين، وخُربت خراباً شاملاً، وقطعت عنها الكهرباء والماء والاتصالات، إلا أن كتيبة (وفا) الشجاعة رفضت مغادرتها، على الرغم من وجود مكاتب احتياطية للعمل في أماكن أكثر أمناً .

نزلوا إلى الملجأ في بناية المجلس الثوري المقابل للوكالة . أقاموا مكاتبهم، ونصبوا أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية، وأجهزة التيلكس ومولدات الكهرباء، وأقاموا على مدخله حراسات ومتاريس . الطائرات تغير على المنطقة نفسها، والقذائف تسقط في كل مكان، فتشعل الحرائق، وهم يتحدون ويصرخون: ألو قبرص .. ألو مونت كارلو .. آخر بلاغ عسكري يقول: العدو يغير الآن على الجامعة العربية .. ألو .. ألو .. دمروا البناية المقابلة لمدخل الجامعة العربية .. تغير الطائرات وتعلو أعمدة الدخان أمام مدخل الملجأ، وتُدمر أمامه سيارتان .. وصوتهم يعلو فوق هدير الطائرات .. ألو .. فرانس برس .. ألو .. دمروا بناية في الصنايع فيها مائتان من السكان المدنيين المهجرين .. ألو .. ألو .. وتهدأ الغارات، فيخرجون من الملجأ، أبطالاً أسطوريين، كأنهم طالعون من الإلياذة والأوديسا البيروتية الجديدة . يبدأون في تنظيف الشارع الأخير، ويربطون الأسلاك ثانية، ويستدعون الخبير العسكري لتفكيك القنابل التي لم تنفجر .. ومن بين الكتيبة الشجاعة، يعلو صوت الزميل خليل الزبن عاتباً مزمجراً، وينادي روح ما جد أبو شرار.. ويُصلي أمامها في الشارع الأخير، ويلعن الذين غادروه ...

هذا الخراب .. هذا الدمار .. هذه الفاشية الجديدة، كسرت حدّة روح (بهلول)، فكتب عموده اليومي للعدد (41) الذي صدر صباح الأربعاء الرابع من أغسطس 1982، بعنوان: (قطة سوداء في الشارع الأخير). وصلت إليّ المقالة ليلاً في المطبعة، قرأتها، قرأها الزميل عدلي فخري، فأجهش في بكاء حاد حارق لا يشبهه عويل، فبكى معه كل من كان في المطبعة، لم يكن البكاء علامة ضعف، بقدر ما هو إشارة احتجاج على هذا الصمت العربي والشماتة العربية . مدينة بكاملها تستباح لجيش العدو، مدينة بكاملها تُحرق وتُدمر وتُخرب . أهلها يموتون يومياً . ووطن موصوف بـ (عربي) يتفرج من محيط إلى خليج، ساكت سكوت الموت . الكل كان يتفرج على موتنا، حتى نحن في الحصار كنا نتفرج على موتنا . فعدم تكافؤ المعركة، جعلنا كما قال أحد الزملاء: (مشروع شهداء) .

الثلاثاء 3 أغسطس 1982

و ... يستشهد علي فودة

في هذا اليوم، كُنّا ما زلنا نعيش أجواء دمار معارك الأحد الماضي الأول من أغسطس (آب)، وكانت أصداؤها تتفاعل على جميع الأصعدة المحلية والدولية، وكان الإسرائيليون يواصلون سياسة (قضم) بيروت بأقل ضجة دولية ممكنة، فهم يستمرون في خرق وقف إطلاق النار، ويتهمون القوات المشتركة به، ويعلنون التزامهم بوقف النار، وعبر ذلك يحركون دباباتهم للسيطرة على مواقع جديدة، فإذا تصدت القوات المشتركة لتقدمه، اتهمت بخرق وقف إطلاق النار .

وحسب المعلومات التي توفرت لدى غرفة العمليات المركزية للقوات المشتركة، فإن قيادة العدو الغازي، قامت بتقسيم بيروت إلى مربعات ستحاول الوصول إليها أو إلى بعضها تدريجياً، وطوال أمس، وصباح اليوم، والعدو يحاول السيطرة على حي السلم والليلكي، دون أن يفلح في ذلك .

مساء الثلاثاء الثالث من أغسطس، كنا في منطقة بيروت، بمنطقة رأس بيروت، نتابع العمل التنفيذي الليلي لصدور الجريدة، وكانت صالة المطبعة قد أصبحت منذ عدة أيام ورشة عمل حقيقية . فمنذ التاسعة ليلاً، تجتمع فرق العمل الليلي لصحف: (المعركة) و(الرصيف) و(العودة) و(فلسطين الثورة) . أربع صحف يومية، تصل فرق عملها الليلية إلى المطبعة تباعاً، وعند منتصف الليل، تكون الصالة قد بدأت تهدأ قليلاً، حيث يكون صف المقالات وسحبها على الورق والتصحيح الأولي قد انتهى، ولا يبقى سوى سكرتير التحرير لمتابعة العمل مع مخرج الجريدة . كانت الصالة الأرضية مقسمة إلى عدة غرف . على الطرف كان الشاعر علي فودة ومخرج جريدة (الرصيف)، وفي الوسط كنت مع صلاح إبراهيم مخرج جريدة (المعركة)، وفي الداخل العاملون في جريدة (العودة) و(فلسطين الثورة) . كانت الساعة الرابعة والنصف فجراً، عندما انتهى علي فودة من إنجاز عدد الرصيف، فودعني، عائداً إلى سكنه في عين المريسة، وبقيت حتى الخامسة والنصف صباحاً، إلى أن انتهيت من إنجاز عدد جريدة (المعركة)، فعدت إلى حيث أسكن في شارع الحمراء، فوصلت إليه السادسة إلاّ ربعاً . أنهكني التعب والقلق والسهر . ولم تمض دقائق حتى وصلت الطائرات المعادية، معلنة افتتاح صباح الأربعاء الرابع من أغسطس بآلاف القنابل والصواريخ، على كافة أحياء بيروت المحاصرة في لحظة واحدة .

كان حجم الغارات وكثافة القنابل، تعلن بداية يوم جحيمي، ذكّرنا فوراً بيوم الأحد الماضي الأول من أغسطس . نزلت سريعاً إلى ملجأ البناية التي أسكن فيها، ومنه سريعاً إلى ملجأ بناية الصليب الأحمر الدولي القريبة . وحتى الظهر لم يهدأ القصف والدمار . سقط صاروخ قرب بناية الصليب الأحمر، فتناثر زجاج طوابقها السبعة في كل الاتجاهات .

تمكنت عند الظهر من الوصول إلى مكان اجتماع هيئة التحرير، فوجدت عدداً قليلاً من الزملاء قد تمكن من الوصول، فجلسنا قليلاً في شقة مجاورة، وعدنا إلى حيث كنا، عند الظهر حاولنا الوصول إلى غرفة العمليات في برج أبي حيدر لمعرفة الأخبار عن سيرة الغارات والمعارك . أفهمونا في غرفة العمليات أن العدو يحاول تحت آلاف القذائف والصواريخ التقدم نحو مواقع جديدة في منطقة المطار والمتحف والأوزاعي. وقد تمكنت القوات المشتركة من صد تقدمه في المتحف، في حين تمكن من التقدم إلى ثكنة هندي شهاب قرب السفارة الكويتية والى المطار والأوزاعي .

هدأ القصف قليلاً في المساء، فتمكنا من الوصول إلى المطبعة، فلم نجد أحداً من العمال والفنيين، ولا كهرباء ولا مازوت . حاولنا جاهدين تأمين المتطلبات لإصدار الجريدة دون فائدة . وكانت المرة الأولى منذ بداية صدورها، يطلع صباح الخميس الخامس من أغسطس (آب)، دون أن تصدر جريدة المعركة، وفي اجتماع هيئة تحريرها اليومي، ظهر الخميس نفسه، جاءنا الخبر التالي:

«صباح أمس – أي الأربعاء (4 أغسطس) – يوم القصف الوحشي، أصيب الشاعر علي فودة والصحافي العراقي سامي محمد علي من هيئة تحرير (الرصيف) في عين المريسة، جرّاء إصابتهما بقذيفة معادية،

وأن سيارة إسعاف تابعة للاتحاد الاشتراكي العربي، نقلتهما إلى مستشفى الجامعة الأمريكية، حيث توفي علي فودة فوراً، وأُسعف سامي محمد علي» .
استناداً لهذا الخبر، قمنا بنعي الشهيد علي فودة، على الصفحة الرابعة من العدد (42) الصادر صباح الجمعة السادس من أغسطس 1982، على النحو التالي:
«رفيقنا علي فودة .. وداعاً
انضم إلى قافلة شهداء كُتّاب فلسطين، الزميل الشاعر علي فودة، يوم الأربعاء الماضي، يوم القصف الهمجي، ويوم التصدي البطولي المخيف لآلية العدو العسكرية ... اغتالته قذيفة همجية، وهكذا تستمر مسيرتنا: (بالدم نكتب من أجل فلسطين)، وها هو الشهيد علي فودة يلتحق بكوكبة الشهداء الذين سبقوه من كتاب وصحافيي فلسطين، وقد ترك الشهيد العديد من الأعمال النثرية والشعرية:
1- فلسطيني كحد السيف (شعر) 1969 .
2- قصائد من عيون امرأة (شعر) 1973 .
3- عواء الذئب (شعر) 1977 .
4- الفلسطيني الطيب (رواية) 1979 .
5- الغجري (شعر) 1981 .
6- منشورات سريّة للعشب (شعر) 1982 .
وكان قد أصدر في العام 1981 مجلة «رصيف 81»، وأثناء الحرب حوّلها إلى صحيفة يومية.
وداعاً أيها الشهيد .. وسنبقى بالدم نكتب من أجل فلسطين» .
وكذلك نعته جريدة «رصيف 81»، وكل الصحف والمجلات التي تصدر في الحصار والحرب .

المفاجأة .. علي فودة لم يمت
وفجأة في السابعة من مساء السبت 7 أغسطس، دخل علينا في المطبعة بشكل جنوني الدكتور نذير العظمة صائحاً: نعيتموه .. علي فودة حي .. علي فودة لم يمت! إنه في غرفة الإنعاش في مستشفى الجامعة الأمريكية . نظرنا فيه باستهجان واستغراب .. فقال: أنا أقصد ما أقول .. أنا لست مجنوناً .. خرجت مع الدكتور نذير العظمة وبعض الزملاء، نركض وسط الظلام نحو مستشفى الجامعة الأمريكية، وفعلاً وجدنا علي فودة يصارع الموت، وهو غائب عن الوعي، وقد شوّهت القذيفة وجهه تماماً وكذلك جسمه، وشلّت حركته، وعدنا إلى المطبعة دون أن نتمكن من الحديث معه، ولو كلمة واحدة .. ونشرنا في العدد الصادر صباح الأحد الثامن من أغسطس التوضيح التالي:
«تبيّن أن الشاعر والكاتب الفلسطيني علي فودة، رئيس تحرير جريدة (الرصيف)، لم يستشهد . ولقد أصيب فعلاً .. إصابات بالغة . ويفيد تقرير المستشفى أنه يمرّ في وضع صحي صعب . تأمل (المعركة) للزميل علي فودة الشفاء وموفور الصحة» . وقبل يوم، في عدد يوم السبت السابع من أغسطس، كنّا قد نشرنا كلمات رثاء له وفيه ولغيره من الشهداء كالتالي:
- مقالة لرشاد أبو شاور بعنوان (الشهداء) عن الشهيد سمير درويش، والشهيد علي فودة، والشهيدة

نعم فارس .
– بيان من الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، تنعى فيه الشهداء الثلاثة .
– مقالة لي في رثاء علي فودة بعنوان: (أيها الغجري .. لمن تركت الرصيف؟) .

استمرت زياراتنا لعلي فودة في المستشفى، وهو مستمر في الغيبوبة في غرفة الإنعاش، فأوقفنا نشر كلمات الرثاء العديدة التي كانت قد وصلت إلى الجريدة، فور نشرنا خبر استشهاده قبل ثلاثة أيام .. وفجأة ظهر يوم الاثنين التاسع من أغسطس / آب 1982، وصل إلينا خبر من المستشفى يؤكد وفاة علي فودة ... فرثيناه مرّة ثانية، وبدأنا في الأعداد التالية من جريدة (المعركة) بنشر كلمات الرثاء التي كنّا قد أوقفناها .. وهكذا كان استشهاد علي فودة محيراً، تماماً كما كانت حياته .. موتاً غريباً تماماً كسلوك صاحبه!

هل تتوقف جريدة (المعركة) .. ومتى؟!
رغم كل الغارات الوحشية التي كان آخرها يوم الجمعة الثاني عشر من أغسطس (آب)، وما تحدثه من قتل وتدمير وتخريب، كانت أنباء المحادثات التي يجريها المبعوث الأمريكي فيليب حبيب، تؤكد أن المفاوضات سوف تنتهي بخروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، وأن الخلاف محصور في الأمور الإجرائية فقط. لذلك بدأنا نطرح في اجتماعات هيئة التحرير مسألة توقف الجريدة، لأنها فقدت مبرر صدورها، فهي جريدة للمعركة والقتال والتعبئة من أجل محاربة العدو الغازي .
ومن غير المنطقي أن نستمر في التنظير للقتال والتمترس والصمود، في وقت تتخذ فيه الإجراءات الميدانية لخروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت. وكان شبه إجماع على أن تستمر الجريدة في الصدور حتى خروج الفوج الأول من المقاتلين، إن صحت التوقعات والأخبار المُسرّبة عن المفاوضات .

وفد الفنانين والمثقفين المصريين
وصل يوم الأحد الرابع عشر من أغسطس، إلى بيروت المحاصرة، وفد الفنانين والمثقفين المصريين، ليعلن للصامدين في الحصار، تضامن قطاعات الشعب المصري معهم .
كان الوفد يتكون من: علي بدرخان، وفتحية العسّال، وناجي جورج، وجلال الغزالي، وأمين الهندي. ثم وصلت الفنانة نادية لطفي مع وفد آخر. كان وصولهم مدعاة لتأثّرنا وتقديرنا.. شاهدوا بأعينهم حجم الخراب والدمار.. وكُتبت العديد من المقالات في مختلف صحف ونشرات الحصار، ترحب بهم. وزاروا ليلاً أكثر من مرة المكان الذي تُصدر فيه جريدة (المعركة)، وسهروا معنا، ليروا عن كثب كيف تعمل الجبهة الثقافية في مواجهة الغزو والحصار. سافر الوفد عائداً إلى مصر، وبقيت الفنانة نادية لطفي، وأصرت على الخروج مع المقاتلين الفلسطينيين، وكان لها ذلك مع فوج من الأفواج التي غادرت بحراً إلى طرطوس.
توقفت الغارات، وأصبحت المعارك مناوشات خفيفة متقطعة، وعلا صوت الخروج من بيروت، وبدأنا

نلمس –رغم نفي القيادة المتكرر– أن الأمور تتجه نحو الخروج فعلاً، عندئذ بدا لنا –كتاباً ومثقفين– حجم المأساة التي آلت إليها أسطورة الصمود والتصدي وكل البطولات الخارقة. صمود لم يشهده تاريخ العرب الحديث، ورغم ذلك يفرض العدو شروطه، وتوافق قيادة المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية على خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت بسلاحهم الخفيف .
كانت أحاديثنا في الأسبوع الخير، الذي سبق بداية سفر (الخروج) الفلسطيني، أسئلة مستمرة، لا تجد أجوبة، وإن وجد بعضها أجوبة، حال الظرف دون التصريح بها .

السبت الحادي والعشرون من أغسطس 1982
اليوم الأول من سفر (الخروج) الفلسطيني
كان هذا اليوم مؤلماً ومرّاً، منذ الصباح الباكر هرعت بيروت الوطنية (الغربية)، بكامل سكانها تقريباً، فلسطينيين ولبنانيين، إلى ساحة الملعب البلدي، فغطوا الملعب وكافة الشوارع المؤدية إليه، وسطوح العمارات، يودعون الفوج الأول من المقاتلين، الذين سيرحلون عن بيروت، التي سال دمهم زكياً على أرضها، كي لا يدخلها الجيش الإسرائيلي .
كانت ساحة الملعب البلدي والشوارع المؤدية إليها بحراً من دموع... أعتقد أنه رغم كل المآسي والمصائب التي شهدوها وعاشوها، فإن الفلسطينيين واللبنانيين لم يبكوا في حياتهم كما بكوا في هذا اليوم والأيام التالية.. كان بحر من الدموع. المواطنون يوقفون الشاحنات المقلة للمقاتلين في كل زاوية وشارع، يوزعون عليهم الورود، ويرشون عليهم الرز وماء الورد والملح والدموع. كنّا نبكي في وضح النهار دون خجل، كالأطفال اليتامى، فقد شعرنا بيتم حقيقي، فهاهم الرجال يرحلون.. إلى أين؟ لا أحد يدري.. سمّيناه في جريدة (المعركة) (السفر نحو الوطن).. الرئيس القائد ياسر عرفات، عندما سأله الصحافيون يوم خروجه مع مجموعة من مقاتليه: إلى أين أنت خارج؟ أجاب بحزم وتصميم: أنا خارج من بيروت إلى فلسطين. وفعلاً بعد ثلاثة عشر عاماً في العام 1995، عاد الرئيس ياسر عرفات مع المقاتلين أنفسهم إلى فلسطين، ليعيشوا مع شعبهم حصاراً جديداً، وغزواً إسرائيلياً جديداً، ها هو مستمر بنفس الوحشية والخراب والدمار .
من يوم الجمعة التاسع والعشرين من سبتمبر (أيلول) العام 2000، إلى يوم الانتهاء من كتابة هذا الملف يوم الاثنين الرابع عشر من مايو (أيار) العام 2001. لكن الفرق الوحيد، بين حصار وحصار، هو أنه هذه المرة لا (خروج) فلسطينياً جديداً، فسفر (الخروج) أُقفل إلى الأبد، وبدأ منذ سنوات سفر (الدخول) الفلسطيني، ولا بد من (دخول/عودة) من لم (يدخل/يعود) بعد... ولا بدّ من الدخول في زمن الدولة الفلسطينية المستقلة، وإن طال الحصار الجديد.. .
هذا الحصار والغزو الجديدان، رافقهما تشكيل جبهة ثقافية جديدة، تتصدى لهما، وسيأتي يوم يكتب فيه بعض الزملاء الذين عاشوا هذا الحصار وما زالوا.. يكتبون فيه ملّفاً جديداً عن ثقافة الحصار الجديد ..
استمرت جريدة (المعركة) في الصدور، حتى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من أغسطس (آب)، حيث

صدر عددها (الستون)، ثم توقفت، واستعد محرروها والمشاركون فيها للرحيل مع دفعات المقاتلين .. ورحلنا عن بيروت وتوزعتنا المنافي العربية سنوات.. واليوم، العديد من الزملاء والزميلات يعيشون الحصار والغزو الجديدين، مع زملاء وزميلات عاشوا سنوات أطول من حصار ومقاومة وصمود ... وعلى الجميع أن يجيبوا: هل حصار عن حصار بيفرق .. أم أن الحصار واحد مهما تعددت أساليبه وأهدافه؟!

ذلك كان حصار بيروت 1982، كما عاشه الكتاب والمثقفون الفلسطينيون واللبنانيون والعرب .. وفي انتظار الملف التوثيقي عن الحصار الحالي الجديد .. وكل حصار ونحن وأنتم بخير .. ودولة فلسطينية مستقلة.

---

* كاتب فلسطيني يقيم في النرويج.

هوامش وتوضيحات:

– هذا الملف التوثيقي عن دور الكتاب والمثقفين في حصار بيروت 1982، أعد خصيصاً لمجلة (الشعراء) وبتكليف منها. وقد اعتمدت فيه على كتابي (بيروت 82 – وعي الذات) الذي صدر عن الأمانة العامة للكتاب والصحافيين الفلسطينيين في دمشق العام 1983، في طبعة محدودة عن دار الجليل بدمشق، ونظراً لتشتت الكتاب والصحافيين الفلسطينيين والعرب الذين عاشوا الحصار في مناف عدة، فلم تتح الفرصة للغالبية منهم الاطلاع عليه، وكذلك فإن الكتاب، كغيره من مئات الكتب، لم يدخل إلى فلسطين، لأنها كانتً تحت الاحتلال الإسرائيلي، وبالتالي فإن الكتاب لم يُعرف ولم يوجد فيها ... لذلك رأيت أن يكون هذا الملف مفصلاً قدر الإمكان، وحسب المساحة التي أعطتني مجلة (الشعراء) الضوء الأخضر حولها.

– إن أي نسيان لأي اسم أو مطبوعة أو مؤسسة ساهمت في الجبهة الثقافية أثناء الحصار، فهو غير مقصود إطلاقاً، وذلك – إن وجد– فهو يعود إلى الظروف التي جمعت فيها المادة أثناء الحصار، وما تمكنت من حمله عند مغادرتي دمشق.. لذلك فإن هذا النسيان سببه ما توفر لديّ من مادة توثيقية عند تأليفي أو إعدادي كتابي المذكور في دمشق العام 1983، وأنا أعرف أن هناك جهوداً ثقافية وكتابات عدة لم يرد ذكرها في كتابي وفي هذا الملف، للأسباب التي ذكرتها، ومنها على سبيل المثال جهود وكتابات الزميل رسمي أبو علي، والعاملين في إذاعة صوت فلسطين.. لذلك آمل أن يقوم الزملاء أنفسهم، أو ممن عاشوا الحصار، بالكتابة عما فاتني في الكتاب وهذا الملف.